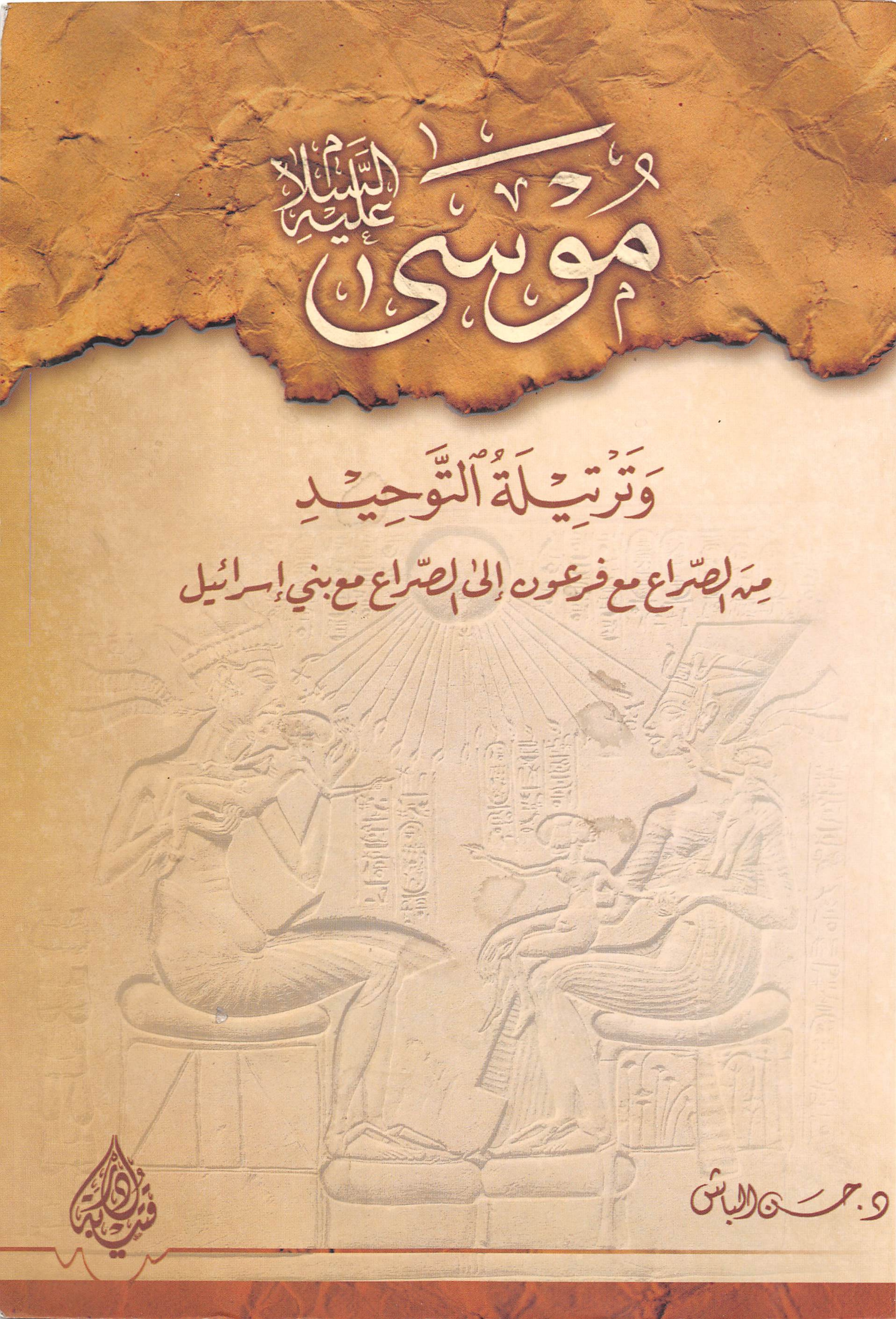


موسى عليه السلام

وترتيلة التوحيد

من الصراع مع فرعون إلى الصراع مع بني إسرائيل

د. حسن الباش

دار قتيبة

هذا الكتاب

من مواجهة فرعون إلى مواجهة بني إسرائيل ذلك قدر النبي موسى عليه السلام.

فليس هو استثناءً بين أنبياء بني إسرائيل لكنه لطول بقائه و صبره على فسادهم و انحرافهم دعا ربه أن يفصل بينه و بينهم لأنهم قوم فاسقون.

موسى عليه السلام نبي عظيم بين شعب لئيم اختار الموت على أن يبقى بينهم فأين توراتهم المحرفة من عظمة هذا النبي. و أين موقفهم من عقيدة التوحيد و النهي عن القتل و الإفساد في الأرض؟





ISBN: 978 - 9933 - 408 - 24 - 4

موسى عليه السلام

وترتيلة التوحيد

من الصراع مع فرعون إلى الصراع مع بني إسرائيل

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

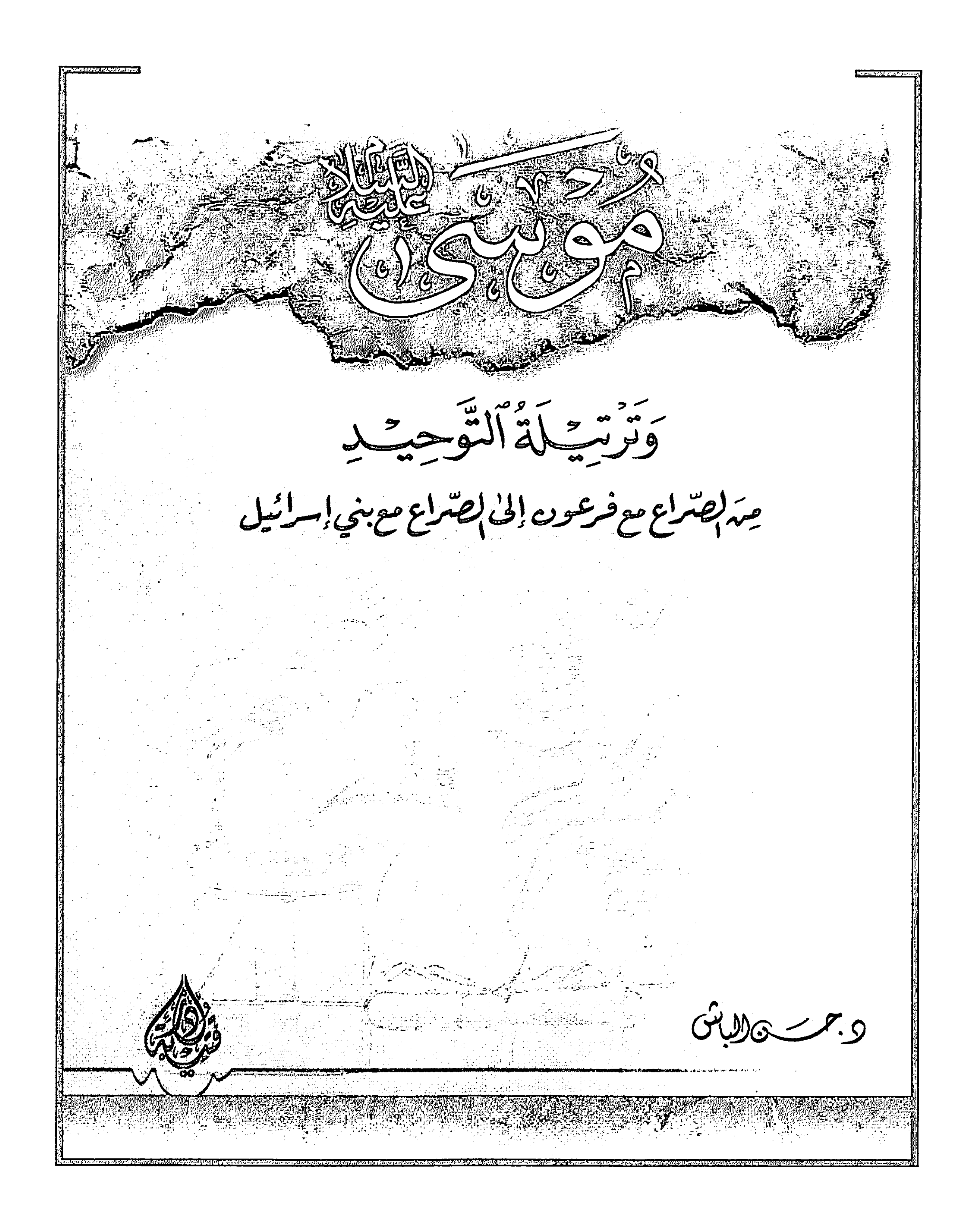
ISBN: 978 - 9933 - 408 - 24 - 4



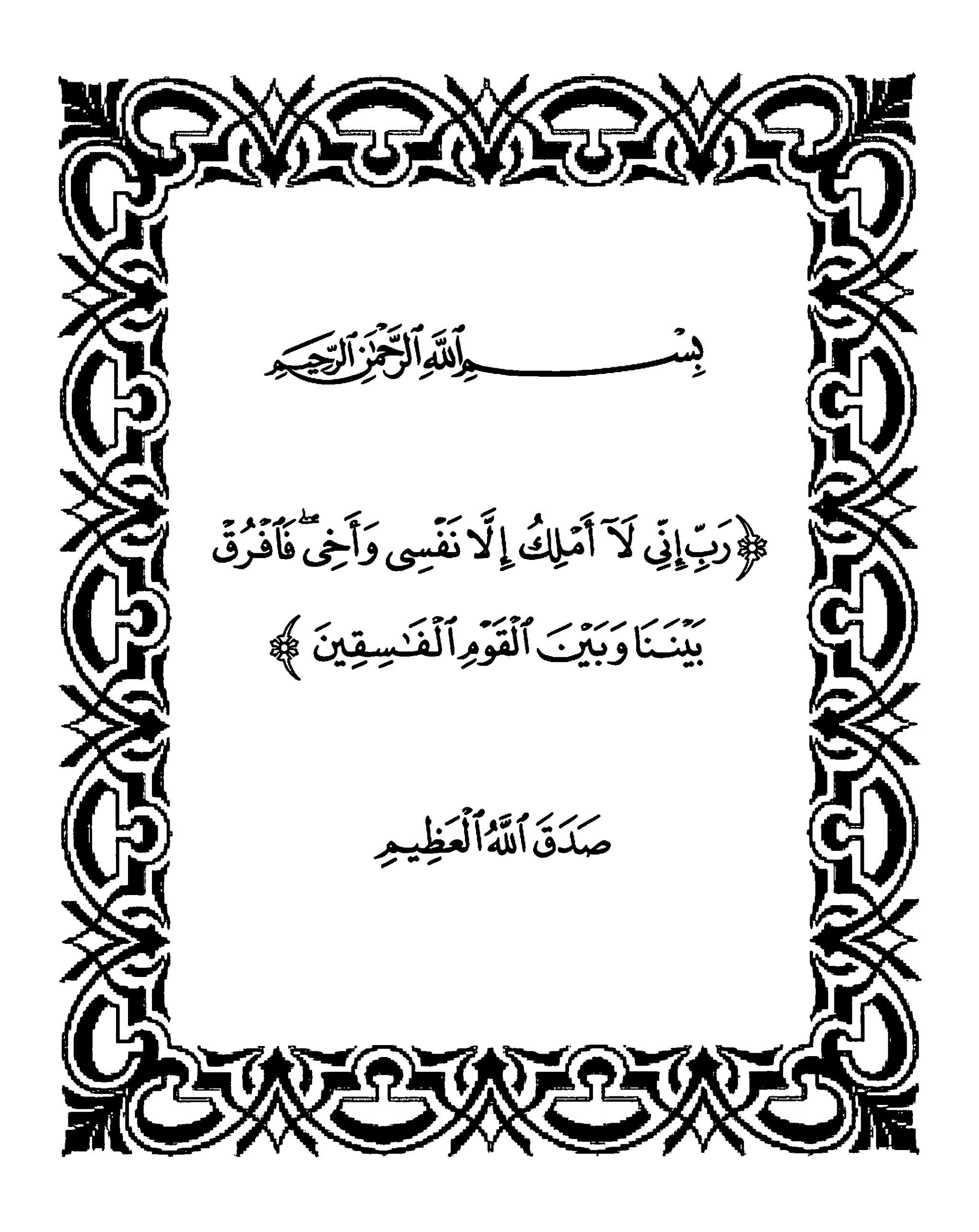
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 225 11 963+

www.kotaiba.com
E-mail : dar@kotaiba.com
كتبنا متوفرة على موقع: www.neelwafurat.com



موسى عليه السلام
وترتيلة التوحيد
من الصراع مع فرعون إلى الصراع مع بني إسرائيل
د. حسن الباش


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾
صدق ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمِ

الإهــــداء

إلى أرض كنعان العربية الإسلامية

منذ فجر التاريخ وإلى آخر التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللهم أعنّا ونوّر بصرنا وبصيرتنا)

بعد أن وفقنا الله سبحانه في إخراج كتابين إلى النور: (إبراهيم عليه السلام كاهن التوراة أم نبي القرآن) و(سليمان عليه السلام صرخة النبوة في وجه الخرافة التوراتية) ألحّ علي بعض الإخوة أن أسرع في استكمال البحث حول الأنبياء الآخرين الذين شكلت الأحاديث حولهم إشكالات والتباسات منذ زمن بعيد، ومازالت راسخة في عقول الملايين من المسلمين والمسيحيين واليهود وغيرهم.

وحين صدر كتابي عن النبي سليمان عليه السلام التفتُ إلى الكتابة في بحث فكري وحضاري. وامتد ذلك حوالي ثلاثة أشهر وأنا أكتب في موضوع مركزية الغرب وهامشية الشرق خرافة أم حقيقة، وعند انتهائي من الفصل الرابع الذي يتناول النظريات العنصرية الغربية، كالأنجلوساكسونية والصهيونية والنازية، والرؤية الإسلامية الإنسانية. أشار عليَّ ولدي محمد أن أتوقف عن استكمال هذا الكتاب لأعود إليه بعد أن أنجز كتاباً عن النبي موسى عليه السلام لأنه أكثر أهمية، والناس بحاجة له كما هم بحاجة لتناول قصص بقية الأنبياء، وبعد استخارة نفسية وروحية ومحاورة عقلية انحزت إلى هذا الرأي.

واستعنت بالله ورحت أفكر في سيرة النبي موسى عليه السلام المديدة والمتشعبة الجوانب، وخاصة في القرآن الكريم. وها أنذا أخط السطور داعياً الله سبحانه أن يوفقني وينير بصري وعقلي وبصيرتي كي أتمّ هذه السلسلة من الدراسات حول

أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وهو في المحور ـ إن شاء الله ـ دحض الأقاويل والخرافات التوراتية والإسرائيلية وإظهار الحقيقة النبوية كما تعلمناها في قرآننا المجيد وسنة نبينا الشريفة.

اللهم لكَ الحمد على ما أنعمت علينا من نعمة العقل والعلم، اللهم إنّا ندعوك أن تعلّمنا الأدب والتواضع والدفاع عن مسألة الإسلام.

اللهم أعِنا بالصحة الدائمة والمعافاة المستمرة في ديننا ودنيانا..

اللهم إن أصبنا فهو من فضلك ولطفك وإن أخطأنا فمن أنفسنا..

تمهيد

ارتبطت سيرة النبي موسى عليه السلام ببعض أسفار التوراة، ويرى كاتب التوراة أن الأسفار الخمسة الأولى تُنسب إلى النبي موسى عليه السلام وهي على التوالي: التكوين، والخروج، والعدد، واللاويين، والتثنية.

وهذه الأسفار تمتد عبر صفحات طوال، تتناول خلق الكون وخروج بني إسرائيل من مصر والتشريع الذي ينسب إلى النبي موسى عليه السلام.

وتناول القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام من كافة جوانبها في أكثر من مئة وستين موقعاً، وهو النبي الأكثر وروداً من بقية الأنبياء في كتاب الله.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة حول هذا النبي مما يدعّم الكثير من الأمور التي لم يفهمها الناس بشكل عام.

والواقع أننا حين ننظر إلى تسلسل الأحداث في سيرة هذا النبي لابد لنا من التمّهل والتأني والصبر كي لا نقع في وضع الأحداث في غير سياقها التاريخي، وكي لا نقع في حبائل الكتابة التوراتية التي أغفلت الكثير من حياته، والمحطات المفصلية في مسيرة هذه الحياة. وعلى ضوء ما قرأناه في أسفار التوراة وآيات القرآن الكريم نستطيع أن ننظر في الأمور التالية:

1 ـ بنو إسرائيل بعد يوسف عليه السلام / الواقع الديني/ الواقع الاجتماعي/ الواقع الاقتصادي.

2 ـ هل كانت مصر مسرح الأحداث الإسرائيلية.

3 ـ ظهور النبي موسى عليه السلام.

4 ـ عائلة موسى عليه السلام، أبوه/ أمه/ أخوه/ أخته.

5 ـ اضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل، قتلهم لأولادهم/ واستحياء بناتهم.

6 ـ قصة أمه حين رمته في نهر النيل ليلتقطه آل فرعون.

7 ـ بين امرأة فرعون وابنته.

8 ـ موسى عليه السلام في بيت فرعون.

9 ـ موسى عليه السلام في شبابه، مقتل المصري وموقف الإسرائيلي الفاسد.

10 ـ هروب موسى عليه السلام من مصر باتجاه سيناء ثم باتجاه مديَن.

11 ـ مدين قرية عربية، من هو الشيخ والد البنات الذي دعا موسى عليه السلام ليحضر عنده.

12 ـ هل النبي شعيب هو نفسه الشيخ والد البنات/ ومن هو يثرون التوراتي؟.

13 ـ زواج موسى عليه السلام من إحدى بنات الشيخ الصالح.

14 ـ مكوث موسى عليه السلام في مديَن عشر سنوات.

15 ـ تعلم موسى عليه السلام لغة أهل مديَن وهي العربية.

16 ـ إنجاب موسى عليه السلام لولدين.

17 ـ نية موسى عليه السلام العودة إلى أهله.

18 ـ قصة الشجرة التي لا تحترق ومخاطبة الله لموسى عليه السلام.

19 ـ صحف موسى عليه السلام أسبق من كتابه والألواح.

20 ـ ذهاب موسى عليه السلام إلى فرعون.

21 ـ من هو هارون بالنسبة لموسى عليهما السلام.

22 ـ قصة المعجزات التي أجراها الله لموسى عليه السلام وهو يجادل فرعون.

23 ـ كم مكث موسى عليه السلام عند فرعون وهو يجادله.

24 ـ من هم السحرة الذين تحدوا موسى عليه السلام، إيمانهم برب موسى عليه السلام وتحديهم لفرعون.

25 ـ الأمر بهروب موسى عليه السلام وبني إسرائيل من مصر إلى سيناء. هل حقاً جلب معه عظام يوسف؟.

26 ـ المعجزة بشق البحر، ما رأي العلماء بها.

27 ـ غرق فرعون ووزيره هامان.

28 ـ لماذا أبقى الله على جسد فرعون، هل هناك بحوث تؤكد هذه الحادثة.

29 ـ سرقة بني إسرائيل لجيرانهم، الذهب والفضة والنحاس.
30 ـ دخول موسى عليه السلام لسيناء.
31 ـ أين استقر بنو إسرائيل في الصحراء.
32 ـ طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً/ عقيدة الوثنية لدى بني إسرائيل.
33 ـ تذمر بني إسرائيل وعصيانهم لموسى عليه السلام وتمردهم عليه.
34 ـ اثنتا عشرة عيناً/ المن والسلوى/ العدس والفوم والبصل.. إلخ.
35 ـ ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه 30 ـ 40 يوماً، ماذا يعني العدد 40؟.
36 ـ الألواح وماذا فيها؟ لماذا ألقاها موسى عليه السلام؟ هل هي ألواح أم هي لوحان؟.
37 ـ عبادة بني إسرائيل للعجل، تحطيم موسى عليه السلام للعجل/ حواره مع السامري/ مع هارون.
38 ـ ماذا وُجد في الألواح من تشريع.
39 ـ لقاء موسى عليه السلام بالشيخ الصالح في مديَن، لقاء موسى عليه السلام بزوجته وولديه.
40 ـ مرحلة تعليم موسى عليه السلام لبني إسرائيل الشريعة الموسوية.
41 ـ هل حدث صراع مسلح بين قوم موسى عليه السلام وأقوام أخرى.
42 ـ موسى عليه السلام والعبد الصالح، قصة تحتاج لتفصيل وتدقيق، لماذا تنكر التوراة اللقاء؟ أين مكان اللقاء؟.
43 ـ من هو غلام موسى عليه السلام؟ هل كان يشوع حقاً؟ من هو يشوع؟.
44 ـ نظرات في تشريعات موسى عليه السلام كما وردت في التوراة، قصة البقرة.
45 ـ بين الكتاب والتوراة والصحف.
46 ـ ادخلوا الأرض المقدسة، ما المقصود منها؟ رفض بني إسرائيل تلبية نداء الله وموسى عليه السلام.
47 ـ دعاء موسى عليه السلام لله أن يفرق بينه وأخيه وبين القوم الفاسقين.
48 ـ موت هارون، وموت موسى عليه السلام.
49 ـ هل دخل موسى عليه السلام أرض فلسطين وأين قبره؟.

50 ـ كم مكث بنو إسرائيل في سيناء؟.

51 ـ أين توراة موسى ﷺ؟ أين كتاب موسى ﷺ؟ الفروق بين الكتاب والتوراة.

52 ـ تابوت العهد وماذا حوى؟ رواية التوراة عن تابوت العهد تناقض القرآن والواقع.

53 ـ مفهوم النبوة عند بني إسرائيل.

54 ـ موسى ﷺ في التراث اليهودي والمسيحي.

55 ـ نظرة إجمالية حول شخصية النبي موسى ﷺ.

ومن الطبيعي أن تدخل بعض التفصيلات تحت بعض هذه العناوين وهي تأتي في سياقها، وسنحاول إن شاء الله أن نسير حسب منهج تحليلي للنصوص يعتمد على علم مقارنة الأديان وعلم التاريخ وعلم النفس وعلم الجغرافيا والميثولوجيا، وكذلك علم الآثار والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) وعلم الاجتماع.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن لنا أن نقسم هذا البحث إلى مقدمة وفصول:

1 ـ تتناول المقدمة مفهوم النبوة وبعض المصطلحات الدينية والتاريخية.

2 ـ الفصل الأول: النبي موسى ﷺ من الولادة حتى الشباب والهروب إلى مديَن.

3 ـ الفصل الثاني: موسى ﷺ وفرعون، صراع التوحيد مع الوثنية.

4 ـ الفصل الثالث: موسى ﷺ في سيناء. الوحي والتشريع والصراع مع بني إسرائيل.

5 ـ الفصل الرابع: موسى ﷺ في التراث اليهودي والمسيحي.

6 ـ الفصل الخامس: النبي موسى ﷺ في نهاية المطاف.

7 ـ الفصل السادس: النبي موسى ﷺ بأقلام الباحثين.

8 ـ الفصل السابع: النبي موسى ﷺ في الحديث النبوي والتراث الإسلامي والإسرائيليات.

9 ـ خاتمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يعتبر النبي موسى عليه السلام من أهم أنبياء بني إسرائيل، فهو صاحب رسالة وكتاب حفلت حياته بالكثير الكثير من الأحداث والأمور وارتبط ببني إسرائيل باعتبارهم قومه الذين بعثه لهم الله عز وجل.

وحين أُلّفت التوراة العبرانية على يد عزرا الكاتب أيام التحرير البابلي جمع ما حفظه كبار السن من بني إسرائيل والكهنة، وتحدث عنه في عدة أسفار أهمها سفر الخروج وسفر العدد واللاويين والتثنية.

وحين نطالع سيرة النبي موسى عليه السلام في التوراة المحرفة والقرآن الكريم، نجد العديد من الموافقات والعديد من التناقضات، لذلك وجب علينا التدقيق في سيرته ومراجعة النصوص التي تحدثت عنه.

وحين الحديث عن مسرى حياته تواجهنا عدة آراء خاصة فيما يتعلق بالصراع مع فرعون ووجود بني إسرائيل في مصر وسيناء.

فالعديد من الدراسات حاول أصحابها نفي وجود موسى عليه السلام في مصر ونفي وجود بني إسرائيل فيها، وقال أصحاب هذه الدراسات إن مسرح الأحداث بين موسى عليه السلام وفرعون هو الجزيرة العربية وليس مصر، ومن هذه الدراسات دراسة للسيد أحمد الدبش وهي بعنوان موسى عليه السلام وفرعون في جزيرة العرب.

ومن تلك الدراسات دراسة للدكتور كمال صليبي التي جاءت بعنوان التوراة جاءت من جزيرة العرب، وقد استند الباحث الدكتور زياد منى إلى أطروحة كمال صليبي وتوصل إلى نتيجة مفادها: «جغرافية التوراة مصر وبنو إسرائيل في عسير»، وأراد الباحث أن يثبت أن أحداث التوراة جرت في منطقة عسير في الجزيرة العربية.

ويكمل هذا المنهج الدكتور أحمد داود الذي سار على منهج الصليبي لكنه يرى اختلافاً بيّناً بينه وبين كمال الصليبي، حيث يرى أن كتاب التوراة هو في مجمله لا يخرج عن إطار التراث العربي الذي كان يحفظ مدوناً في الذاكرة لعشائر عربية عاشت أحداثاً معينة في منطقة بدوية في شبه جزيرة العرب.

وسار على هذا المنهج الباحث العربي فرج الله صالح ديب في كتابه التوراة العربية وأورشليم اليمنية. وقد توصل الباحث إلى أن مسرح الحوادث التي ورد ذكرها في التوراة لم يكن في فلسطين ولا في الحجاز وإنما في اليمن وفي محيط صنعاء، وأن التوراة في الأصل ذات منشأ عربي.

وفي نفس الإطار كتب فاضل الربيعي فاعتبر أن فلسطين المتخيلة كانت في اليمن. وأن أورشليم لم تكن في فلسطين.

والواقع أننا لسنا في صدد استعراض تلك الكتابات، فلكل مجتهد نصيب. لا نعيب على أي باحث جهده مهما كان متوافقاً أو مختلفاً ومعارضاً لما نكتبه في هذا الكتاب.

ومع كل هذا لابد أن نطرح السؤال التالي:

ما الهدف من وراء القول: إن مسرح الأحداث التوراتية لم يكن في مصر أو سيناء أو فلسطين؟.

ما الهدف من وراء القول: إن التوراة جاءت من شبه الجزيرة العربية؟.

كثيرون يفهمون القصد على أنه إبعاد الوجود اليهودي عن فلسطين، وأن الادعاء الصهيوني بأن أرض فلسطين أرض ميعادهم هو ادعاء باطل لا يستند إلى أي حقيقة، إن هذا بحد ذاته جيد وحقيقة لا ينكرها عاقل.

ولكنّ الذي يثير هو إثبات وجود لنبي إسرائيل وتوراتهم في الحجاز، أو اليمن، أو عسير، وكيف يثبت ذلك؟ إنه من خلال عدم وجود آثار مادية تشير إلى اليهود في مصر أو فلسطين، ومن خلال ورود أسماء مشابهة لأسماء المناطق الفلسطينية وهي الجزيرة العربية واليمن.

على أية حال. فإن الحركة الصهيونية كمشروع استعماري موجود في فلسطين اليوم، وهذا الوجود قوي بسبب الدعم الغربي غير المحدود له وبسبب تواطؤ النظام الرسمي العربي في غالبيته أو بسبب ضعفه وعدم اعتبار فلسطين مركزاً للصراع بين المشاريع الغربية الاستعمارية وبين العرب والمسلمين.

الكيان الصهيوني موجود وهو قوي بما يكفي للحفاظ على وجوده، وأعتقد أن المقولات التاريخية والتي سبق ذكر بعضها لا تهم في هذا الكيان ولا تلقى آذاناً صاغيةً.

وأذكر أن مناحيم بيغن عندما طُرح على طاولته كتاب يهود الخزر لمؤلفه آرثر كوستلر والذي يؤكدفيه أن غالبية اليهود الغربيين المتواجدين في فلسطين ليس لهم أية صلة بالمنطقة وهم خزريون آريون قال بيغن: إنْ قالوا عنا خزريين أو غير ذلك فهذا لا يهمنا نحن موجودون هنا على هذه الأرض ووجودنا ثابت لا يتزعزع، نحن موجودون بقوتنا المعاصرة لا أكثر ولا أقل.

وأعتقد أن الوجود الصهيوني في فلسطين اليوم لم يعد يأبه للدراسات التاريخية والاجتهادات البحثية التي تتناول تاريخ بني إسرائيل وتوراتهم، فهذا الوجود يقوم على أسس سياسية استعمارية غربية، وضع الدين كستار لها، لكن هذا الستار تمزق وانفضح.

وعندما نقف بين ما كُتب في التوراة وما كتب عن التوراة والأنبياء وبني إسرائيل نجد أنفسنا في إطار منهج ثالث. ليس هو منهج التوراة المحرفة الملفقة وليس هو منهج الباحثين الذين يستبعدون الأحداث وينسبونها لجغرافية أخرى.

إن المنهج المتبع في رؤيتنا هو المنهج المستند إلى مقارنة الأديان، فأمامنا القرآن الكريم وأمامنا التوراة التي يعتقد اليهود أنها كلام الله.

ففي التوراة قصص وتاريخ وأساطير وتشويهات وتناقضات وجغرافيا ونفوس وبشر، وفي القرآن الكريم حديث مطول عن بني إسرائيل نتوقف عنده لنقول كلمتنا في التوراة المحرفة، في شخصياتها. في جغرافيتها. في تاريخها وعقائدها، وخرافاتها وأساطيرها.

ونعتقد أن غايتنا الكشف الحقيقي عن شخصية النبي موسى عليه السلام لا كما قالت التوراة بل كما قال الله سبحانه في قرآنه، فالنبي موسى يقع في دائرة النبوة التي تحوي الأنبياء جميعاً، وهو نبي موحد جاء لقوم وثنيين، وعانى منهم ما عانى طوال عشرات السنين حتى ملّ منهم أخيراً، فدعا الله أن ينجيه منهم ويُميته لئلا يظل بينهم.

إن ما يهمنا في هذا البحث كشف حقيقة التأليف التوراتي وعدم تدخل اليد الإلهية فيه، ومادام الأمر كذلك فإن شخصية النبي موسى عليه السلام وعلاقته ببني إسرائيل هي علاقة سيئة إلى أقصى درجات السوء. وهذا ما سنكتشفه عندما نضع نصوص التوراة تحت الضوء وفي المقياس المنطقي العقلاني الذي نجده في القرآن الكريم.

إننا نعتقد أن تخليص الأنبياء من براثن اليهود، وخاصة إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان والمسيح، سيجعلهم عراة في الدين والعقيدة وسيجعلهم مكشوفين على حقيقتهم الفاسدة.

وساعتئذٍ سنرى أن الأساس الديني الادعائي سيسقط وتسقط معه حججهم الكاذبة بأن الله وعد أنبياءهم بأرض فلسطين. فهؤلاء اليهود ليس لهم علاقة بهؤلاء الأنبياء وهم ليسوا على دينهم، وليسوا على سلوكهم، إنما هم منحرفون وجدوا أنفسهم فارغين ليس لهم سند ديني فإذا بهم ينسبون أنفسهم إلى هؤلاء الأنبياء زوراً وبهتاناً على الرغم من تشويهاتهم لهم ولحياتهم وسلوكهم ونبوتهم.

وهذا ليس كلاماً عاطفياً دينياً، إنما هو واقع سنراه من خلال تحليل النص التوراتي، والنص القرآني، ومن خلال الدراسات المتعددة في الإطار النفسي والتاريخي والجغرافي واللغوي والاجتماعي والسياسي.

ولابد لنا من القول هنا: إن البحوث التي تناولت جغرافية الحدث الإسرائيلي على أنه في شبه الجزيرة العربية في الحجاز أو اليمن لا يعفينا من دحض مزاعم النص التوراتي المحرف وإسقاطه من دائرة الموثوقية، ولا يعفينا من إنصاف الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم وبيّن أنهم وقعوا تحت دائرة التشويه التوراتي.

والنبي موسى عليه السلام هو الأكثر أهمية بالنسبة لبني إسرائيل والأطول حياةً بينهم لذلك كان لابد لنا من تتبع مسيرة حياته يوماً بيوم. نقارن النص التوراتي

بالنص القرآني لندرك الحقائق الثابتة التي لا تنازع العقل والمنطق ولا التحليل العقلي والمنطقي.

إن منهجنا في هذه البحوث يستند على مبدأ راسخ هو أن أنبياء الله الذين ذكروا في القرآن الكريم وتناولت التوراة بعضهم هم أنبياؤنا ونحن أحق بالدفاع عنهم وعن رسالاتهم التوحيدية التي تكمل بعضها بعضاً.

فمنهج التوحيد لدى الأنبياء جميعاً هو منهج واحد، غايته هداية الناس إلى الدين القويم وليس غايته العنصرية والقتل واحتقار بني البشر، وتصنيفهم في طبقات عنصرية مقيتة، كما يقول التوراتيون التلموديون المنحرفون.

لقد وقع بعض الباحثين في فخ النص التوراتي فراحوا يشتمون الأنبياء ويرددون ما قالته التوراة عنهم، حتى ظنّوا أن موسى عليه السلام قائد عسكري دموي يقود جماعات متخلفة إلى الحروب والقتل، وقالوا عنه إنه العنصري التوراتي الأول.. إلخ، ونحن نعتقد أنه كان عليهم أن يراجعوا ويتدبروا النص القرآني ليروا أن ما قالته التوراة ليس سوى خرافات وليس سوى أوهام وتشويهات كتبها عزرا الكاتب وعدّل فيها المنقحون الكتبة من فريسيين وتلموديين فزادوا التشويه تشويهاً والكذب كذباً، والأوهام أوهاماً.

ورب قائل يقول: إن كثيراً من المتشابهات تقع بين التوراة المحرفة والقرآن الكريم وخاصة في قصص الأنبياء فماذا يعني ذلك؟.

نقول في هذا المنحى: إن جمع أخبار بني إسرائيل من أفواه الإسرائيليين على يد عزرا الكاتب خلط بين أجزاء صحيحة وأخرى وهمية وقد غلب على هذه الأخبار ما هو ملفق ومشوّه، ولاشك أن بعض الأجزاء الصحيحة تتقاطع مع قصص القرآن في الأحداث التي لا يحدد تاريخها القرآن الكريم لأنه ليس كتاب تاريخ، بينما الكاتب يضع تواريخ متناقضة، فيقع في مطب الوهم والتخيّل ظنّاً منه أن لا أحد يستطيع مناقشته باعتباره كلاماً موحى به من الله حسب زعمه وحسب ادعاءات أصحابه.

الفصل الأول

النبي موسى عليه السلام
من الولادة إلى الشباب
والهروب إلى مدين

بنو إسرائيل بعد يوسف ﷺ

تورد التوراة ـ في بدء سفر الخروج باختصار شديد ـ حديثاً عن بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع أبيهم يعقوب.

فتقول: «**وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع يعقوب جاء كل إنسان وبيتُه، رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويسّاكر، وزبولون، وبنيامين، ودان، ونفتالي، وحاد، وأشير، وكانت جميع الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسف كان في مصر، ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً، وامتلأت الأرض منهم.**

ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلمَّ نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا فاختشوا من بني إسرائيل فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل». سفر الخروج: 1 ـ 14.

قبل أن نتابع في قراءة النص التوراتي نتوقف مع هذا النص الذي أوردناه لكي نتبيّن بعض الحقائق، ونرد على الأوهام التوراتية.

في بضعة سطور تقول التوراة إن الذين دخلوا مصر أيام وجود يوسف ﷺ فيها بلغوا سبعين شخصاً كلهم من صلب يعقوب، وتقول التوراة إنّ جميع ذلك الجيل مات في مصر.

أما بنو إسرائيل من الأولاد والأحفاد وأحفاد الأحفاء فقد كثروا جداً في أرض مصر، وامتلأت بهم الأرض.

ثم تقول: إنّ الملك المصري قال إن بني إسرائيل شعب أكثر منا أي أكثر من المصريين وقوله أكثر منا ـ توحي أن إسرائيل أصبحوا أكثر من المصريين.

فكيف يصح هذا؟ هل المصريون لا يتوالدون؟ أم أن بني إسرائيل جلبوا إليهم غيرهم حتى صاروا أكثر عدداً.

ثم إذا كانوا أكثر من المصريين كيف استطاع المصريون أن يستعبدوهم ويسخروهم، ألا يستطيعون المقاومة؟.

بالطبع هذا الكلام غير صحيح لأن بني إسرائيل لم يصبحوا أكثر من المصريين ولا في أي زمن من الأزمان.

ثم تقول التوراة إذا حدثت حرب أنهم ينضمّون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض فأي أعداء هؤلاء الذين حذر منهم الفراعنة؟.

أما حقيقة الحدث التاريخ فهي حسب المصادر تقول:

إن النبي يوسف عليه السلام عندما كان في مصر كان يخدم الملوك الهكسوس الذين احتلوا شمال مصر وانكفأ الفراعنة إلى الجنوب. وعندما استطاع الفراعنة طرد الهكسوس راحوا ينتقمون من بني إسرائيل لأنهم اعتبروهم متعاونين مع الهكسوس، وبهذا المعنى يرى الفراعنة أن بني إسرائيل لعبوا دوراً سلبياً في حياة المصريين، وراحوا ينتقمون منهم لا بسبب خوفهم من وَهْمِ كثرتهم إنما انتقاماً منهم لدورهم.

وفي الفقرات من 15 ـ 22 حديث عن أمر الفرعون للقابلات اللواتي يعملن لتوليد نساء بني إسرائيل بأن يخبرن عن أي مولود ذكر حتى يطرح في النهر. وتتحدث هذه الفقرات عن إخفاء حالات كثيرة من الولادات حتى نما الإسرائيليون وكثروا جداً.

وقد ورد ذلك بشكل عام في القرآن الكريم حيث تحدثت الآيات عن قصة قتل الفرعون للأولاد الذكور من بني إسرائيل.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة، الآية: 49).

عند ذلك ينتهي الإصحاح الأول من سفر الخروج ليبدأ الإصحاح الثاني الذي يبدأ الحديث عن النبي موسى عليه السلام.

يقول الإصحاح الثاني: «**وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي فحبلت المرأة وولدت ابناً، ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعدُ أخذت له سفطاً من البردي وطلته بالحُمرِ والزفت، ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر، ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به.**

فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد، وإذا هو صبي يبكي فرقّت له وقالت: هذا من أولاد العبرانيين فقالت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد، فقالت لها ابنة فرعون اذهبي، فذهبت الفتاة ودعت أم الولد فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولدوأرضعيه لي وأنا أعطيك أجرتك فأخذت المرأة الولد وأرضعته، ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً، ودعت اسمه موسى، وقالت: إني انتشلته من الماء» (الإصحاح الثاني: 1 ـ 10).

إلى هنا يكتفي كتاب التوراة بالحديث عن موسى الطفل، وهو حدث عادي ليس له أي معنى أو اختصار شديد لقصة طويلة، فحبلت وولدت وخبأته، ووضعته في سفط والتقطته ابنة فرعون وتبنته ثم تخرج أخته فجأة وتحضر له مرضعة (وهي أمه ثم يكبر ويُعاد إلى ابنة فرعون فيصير لها ابناً وتسميه موسى).

وهنا نتوقف عند النص القرآني لنقارن الحدثين المفترقين وما دار حولهما من أمور.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً

مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (سورة طه: 37 ـ 40).

ويقول تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة القصص: 7 ـ 13).

فقصة ولادة موسى وإرضاعه وإلقائه في اليم أي نهر النيل ثم إعادته إلى أمه لترضعه ويتربى في حضنها وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

ومن الواضح أن هناك فروقاً شاسعة بين رواية التوراة وكلام الله في القرآن الكريم، وهناك في النص القرآني أمور أخرى لابد من مناقشتها.

إن النص التوراتي يفتقد تماماً إلى العنصر الآخر أي العنصر الغيبي، يفتقد للتدخل الإلهي في القصة كلها.

ولنسر مع النص التوراتي جزءاً جزءاً. أولاً لا ندري ما هي شخصية أم موسى عليه السلام، فهي امرأة عادية من سبط لاوي ـ حسب قول التوراة ـ تزوجت وحملت وولدت، وهذا الولد عادي جداً ليس لله أي علاقة باصطفائه وليس لله أي علاقة بنجاته، وإكرام أمه بعودته إليها، والسؤال المطروح هنا كيف تتجرأ أم أن تلقي بابنها في النهر، وهو موجود في سفط من البردي؟، ثم كيف استمر صبرها بعد أن ألقته في الماء؟ ماذا يمكن أن يكون شعورها وتصرفها الانفعالي حيال ولدها الذي أُلقي في النهر؟.

أربعة أسطر من الإصحاح الثاني تختصر زمناً طويلاً وأحداثاً تحتاج إلى ترتيب وتفكير، لكن التوراة التي ألفها عزرا الكاتب عبارة عن روايات مختصرة، حفظها بعض كهنة بني إسرائيل الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم فلم يعرفوا أن الله سبحانه تدخل في ولادة موسى ﷺ وحياته ورحلاته وكتابه وموته. أو أنهم لا يعرفون بالتحديد كيف ولدت أم موسى ولدها وكيف جرى ما جرى من أحداث معه.

لننظر إلى النص القرآني ماذا يقول:

تبدأ القصة بوحي من الله لأم موسى أن أرضعيه، وكان من المفترض حسب فهمنا للنص الإلهي ولأمره أن أم موسى أرادت أن تفعل شيئاً بابنها مع بدء ولادته خوفاً من فرعون الذي أمر بقتل أطفال بني إسرائيل، لكن الله سبحانه أوحى لها أن لا تفعلي أي سوء للطفل بل أرضعيه مطمئنة، فإذا خفت عليه أن يؤخذ منك ويقتل فألقيه في اليم، فلنتصور على المستوى البشري التناقض بين الخوف عليه والتخلص من هذا الخوف بإلقائه في اليم.

ومرة أخرى فعلى المستوى البشري من المفترض أن نقول لأم موسى إذا خفت عليه فاخفيه في أي مكان غير مكشوف، ولا يمكن أن نقول لها إذا خفت عليه من النار فألقيه في اللهب.

ولكنْ على المستوى الإلهي تصبح المتناقضات متوافقات. الله سبحانه يوحي لها، ووحي الله ليس كمثله شيء، فهو الله سبحانه الذي يدبر الأمر بيده، وأمره نافذ لو عارضت المخلوقات كلها، والله سبحانه له مخططه في علمه المسبق وهذا المخطط لا دخل للبشر فيه.

لقد أوحى لها وهو يعرف أن أم موسى ﷺ مؤمنة ويقينها بالله قوي وقد نفذت أمر الله فوضعته في تابوت ـ صندوق ـ وألقته في اليم، وما كادت تفعل حتى اشتعلت النار في قلبها ووجدانها، لكن الله سبحانه طمأنها زيادة في الاطمئنان والثقة، ولا تخافي ولا تحزني سنرده إليك وسنجعله من المرسلين، طمأنها وبشرها بأنه بعد أربعين سنة سيكون موسى ﷺ نبياً مرسلاً، فما هذه البشرى التي تمتد عبر الزمن أربعين سنة؟.

وزاد في ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة القصص: 10).

وعلى الرغم من الاطمئنان ظلت نار الأمومة تشتعل في قلبها وجسدها وكادت أن تصرخ وتنادي: ولدي... ولدي، ولكن الله ربط على قلبها فسكنت وهكذا أراد لها الله أن تكون من المؤمنين الموقنين.

ألقته في اليم وصبرت، حتى التقطه آل فرعون وهم لا يعرفون شيئاً عن المستقبل لأنهم لا يعرفون ولا يعلمون الغيب، وهذا الغيب يقول: سيكون موسى عليه السلام عدواً لفرعون ويكون فرعون عدواً لله ولموسى عليه السلام بل سيكون ألماً وحزناً عليهم لأنه سيكون الشاهد على مأساة فرعون الكبرى وهي غرقه وجنوده.

في النص التوراتي نرى أن بنت فرعون تتبنى موسى عليه السلام بينما النص القرآني يقول: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ (سورة القصص: 9). بمعنى أن الذي تبناه ليس ابنة فرعون إنما زوجته، والأمر المنطقي أن امرأة فرعون لم يكن لها أولاد. ففرحت به عسى أن يكون ولداً لها بالتبني. أما رواية التوراة فهي مخالفة للمنطق والعقل فكيف تتبنى ابنة فرعون ولداً وهي لا تعرف معنى الأمومة. ما معنى أن تتبنى البنت طفلاً ليكون ولداً لها قبل أن تتزوج وتعرف هذه المعاني.

أما بالنسبة لدور أخته فهو الترقب والمراقبة وهذا ورد في التوراة وورد في القرآن الكريم، ولكن الاختلاف في قوله تعالى فحرمنا عليه المراضع من قبلُ، وهذا يعني أن امرأة فرعون جلبت من يرضع موسى عليه السلام فأبى، فكيف أبى وهو ما يزال طفلاً، والطفل لا يعي شيئاً ولا يدرك ولا يفهم سوى إشباع جوعه، لكنّ الله سبحانه ينفذ وعده، ويرتب الأحداث كلها بعنايته، فقد زرع في غريزة هذا الطفل أن يرفض أي امرأة تريد إرضاعه حتى يأتي دور أمه، وهنا وبعد أن عجزت امرأة فرعون في إيجاد من يرضعه جاءت أخته وقالت أنا أدلكم على من ترضعه. وهنا يأتي دور أمه وما كادت تضع ثديها في فمه حتى يبدأ بالرضاعة ويهدأ، فهو يرضع حليباً ممزوجاً بحنان الأم ورحمتها وشفقتها وحبها حتى ينمو بشكل صحيح لا

شائبة فيه، فهو منذ البدء مهيأ كي يتربى جسدياً وعاطفياً بشكل صحيح، ليكـون في المستقبل ذلك النبي المرسل صاحب الكتاب الأول من الكتب السماوية.

لقد رُدَّ موسى ﷺ إلى أمه لأسباب أرادها الله ولغايـات حـددها. ردّه إليهـا لتقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق، ذلك الوعد الذي وعدها به عن طريق الوحي.

ولكن أكثرهم لا يعلمون، نعم لأن الذين كتبوا التوراة لا يعلمون مـا الـذي حدث، لذلك كتبوا ما هو ناقص جداً عن موسى ﷺ وأمه وقـصته الأولى مـع آل فرعون.

افتراضات وتعقيبات

1 ـ هناك إجماع على أن موسى عليه السلام تربّى في قصر فرعون، ولاشك أن من يتربّى في أسرة سنوات طوال لابد أن يتمثل عاداتها ويتعلم لغتها، فلغة موسى عليه السلام التي تعلمها هي اللغة المصرية. كذلك كان أبناء قومه من بني إسرائيل ولم يثبت قطعياً أن ما يسمى اللغة العبرية كانت موجودة آنذاك.

2 ـ طالما أن أمه أرضعته حتى فطم، فقد كانت تعرف تماماً تطورات حياته خاصة أن مدة رضاعته منحت أمه القرب من زوجة فرعون، وهذا القرب مستمر لترعى لها الصبي موسى عليه السلام.

3 ـ كان فرعون وزوجته والحاشية يعرفون أن هذا الولد هو من بني إسرائيل وليس مصرياً، وكذلك أهل موسى عليه السلام يعرفون أنه ابنهم وليس ابن فرعون أو زوجته.

4 ـ يشير القرآن الكريم إلى أنّ امرأة فرعون كانت مؤمنة موحدة، ويقول تعالى في ذلك: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة التحريم: 11).

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل امرأة فرعون هي التي ربّت موسى عليه السلام أمْ المقصود امرأة فرعون آخر؟.

والواقع أن غالبية المفسرين يقولون إن امرأة فرعون هي نفسها التي ربّت موسى عليه السلام، ويقولون أن اسمها آسيا بنت مزاحم.

موسى عليه السلام مرحلة جديدة/محطة ثانية

تقول التوراة: «وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أن ليس أحد فقتل المصري، وطمره في الرمل، ثم خرج في اليوم الثاني وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك؟ فقال من جعلك رئيساً وقاضياً علينا أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصري، فخاف موسى وقال حقاً قد عُرِف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر». (الخروج: الإصحاح الثاني: 11 ـ 15).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (سورة القصص: 14 ـ 22).

نعتقد أن الإطار العام في القصد واحد. ولكنّ في القرآن أموراً لم تذكرها التوراة، منها أن موسى عليه السلام وكزَ المشرك فقتله، والوكز ليس بالضرب القاتل، ولكن إرادة الله نفذت الأمر. لذلك تعجب موسى عليه السلام من هذا الذي جرى،

فاستغفر ربه، وقد أخبره رجل إن آل فرعون يتآمرون كي يقتلوه، فهرب من المدينة هائماً على وجهه وقال العديد من المفسرين إن موسى عليه السلام عندما وكز المشرك وقتله لم يكن قد كلف بالرسالة ولم يكن قد بُعث بالنبوة، وعلى الأرجح أن موسى عليه السلام في ذلك الوقت كان شاباً لم يبلغ الثلاثين من عمره، وقد علمه سبحانه وتعالى الحكمة وبعض العلوم.

وقد افترض بعض المفسرين أن موسى عليه السلام كان في الأربعين من عمره وأنه كُلف بالنبوة ولكن هذا القول بعيد عن واقع الأحداث وبعيد حتى عن طبيعة شخصية النبي موسى عليه السلام وهو في مثل هذا الحدث الذي فيه قتل نفس وفيه هروب، الهروب إلى مدين.

أين هي مدين؟ ومن كان يسكنها؟، وكيف توجه موسى عليه السلام إليها؟.

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر، ويُقال أنهم كانوا برفقة الإسماعيليين لما بِيعَ يوسف عليه السلام، وكان الإسماعيليون من سكان مديان وسكن موسى عليه السلام مدة في مديان، والمنطقة التي تقع شرقي خليج العقبة تسمى الآن مديان.

وقد ورد في التوراة في سفر التكوين أن النبي إبراهيم كان قد تزوج بعد سارة وهاجر امرأة كنعانية اسمها قطورة وأنجبت له ستة أولاد.

تقول التوراة: «**وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له زِمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوقا**». تكوين 25: 1 ـ 2.

هؤلاء الأبناء انتشروا في مناطق الأردن وشبه الجزيرة العربية، ومديان سكن قريباً من خليج العقبة أو شرقيّها، وأنجب وكثر نسله وسُميت المنطقة باسمه ـ مديان ـ أو مدين. وعندما ننظر إلى قصة النبي شعيب ندرك أنه كان في مدين، وهذا ما جاء في القرآن الكريم، وشعيب نبي مرسل ظهر بعد لوط وقومه، بمعنى أن شعيباً ابن المنطقة، وتدل دراسة حياة الأنبياء أن شعيباً هو ابن مديان أو حفيده. ويعود إلى إبراهيم عليه السلام. حيث من المحتمل أن يكون جدَّه أو والد جده.

وما بين ظهور النبي موسى عليه السلام وبين إبراهيم عليه السلام حسب التقديرات الأولية حوالي 650 ـ 700 سنة.

وما بين إبراهيم وشعيب لا يتجاوز المئة والخمسين سنة، إذ أن شعيباً يشير إلى ما حلَّ بأقرب شعب إليه وهم قوم لوط، وعلى هذا لا يمكن أن يكون شعيب قد عاصر موسى عليه السلام وصاهره.

ولكن المؤكد أنه بعد أن عاقب الله قوم شعيب بقيت بقية صالحة من قومه ونسله، وهذه البقية ظلت في مدين وأطرافها وجلّهم من رعاة الأغنام، وعندما قدم موسى عليه السلام إلى مديان أو مدين وجد الرعاة يسقون أغنامهم ومن بينهم فتاتان لشيخ صالح كان يسكن في مدين وليس له أولاد بل له بنات.

والمديانيون قبائل انتشرت شرقي الأردن وكانت لهم علاقات قوية مع أولاد عمومتهم من بني إسرائيل وجميعهم ينتسبون إلى العرب المستعربة.

تقول التوراة: «**وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر**». (الخروج: الإصحاح الثاني: 15).

وتقول: **وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتينَ واستقينَ وملأنَ الأجران ليسقينَ غنم أبيهنّ فأتى الرعاة فطردوهنّ فنهض موسى وأنجدهنّ وسقى غنمهنّ فلما أتينَ إلى رعوئيل أبيهن قال ما بالكنّ أسرعتنّ في المجيء اليوم. فقلن: رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم، فقال لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتنّ الرجل؟ ادعونّه ليأكل طعاماً، فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة، وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات، وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله**». (الخروج: الإصحاح الثاني: 16 ـ 25).

ويقول تعالى في قرآنه الكريم: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ

وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (سورة القصص: 23 ـ 28).

ومن الواضح أن هناك اختلافاً بين رواية التوراة وما جاء في القرآن الكريم.

1 ـ كاهن مديان له سبع بنات في التوراة، وله بنتان في القرآن.

2 ـ اسم كاهن مديان رعوئيل في التوراة، ولم يرد اسمه في القرآن الكريم.

3 ـ كاهن مديان رجل عادي في التوراة، وفي القرآن هو شيخ صالح.

4 ـ في القرآن عهد بين موسى عليه السلام والرجل الشيخ على تزويجه ابنته مقابل 8 ـ 10 سنوات وهذا لم يرد في التوراة.

5 ـ تلد له زوجته صفورة ابناً، لكن ذلك لم يرد في القرآن.

بعد هذه الإطلالة لابد أن نتوقف عند العديد من الأسئلة:

1 ـ ما المسافة الفاصلة بين أرض جاسا المصرية التي كان يسكن فيها بنو إسرائيل وبين أرض مدين.

2 ـ من أي الطرق ذهب موسى عليه السلام للوصول إلى مدين؟ هل طريق خليج السويس باتجاه الجنوب، ثم ذهب في خليج العقبة حتى وصل مدين، أم أنه اتخذ الطريق البري الصحراوي؟.

3 ـ لماذا كانت مدين المنطقة التي اختيرت لتكون ملجأ لموسى عليه السلام؟ وهل تمَّ ذلك باختيار من قبل موسى عليه السلام أم لله يد في هذا الاختيار؟.

4 ـ أهل مديان من العرب ولغتهم العربية، وموسى عليه السلام مكث عندهم عشر سنوات وتزوج منهم امرأة عربية وأنجب منها، فهل أصبحت لغته العربية؟

وهل نسي لغة المصريين؟، وهل لهذا علاقة باختيار موسى لأخيه هارون كي يتحدث عند فرعون لأنه أفصح منه؟.

5 ـ هل تعلّم موسى عليه السلام شيئاً من العقيدة عن طريق صهره الشيخ؟ وإذا ثبت ذلك فهل لهذا علاقة بتمهيد موسى عليه السلام وتربيته لكي يتلقى الرسالة؟.

6 ـ ما الإشارات الدالة على أن الشيخ رجل صالح؟ وهل أصاب المفسرون بقولهم: إنه هو النبي شعيب عليه السلام أم أنهم أخطأوا في ذلك؟.

س1+2: عندما ننظر إلى الخريطة التي تحدد مواقع بني إسرائيل في جاسان وكذلك صحراء سيناء وخليج السويس ثم خليج العقبة قرب مدين، نرى أن النبي موسى عليه السلام سلك أحد الطريقين للوصول إلى مدين، إما أنه ركب سفينة من خليج السويس ونزل جنوباً ثم دخل خليج العقبة وهناك نزل إلى مدين، أو أنه سلك طريقاً صحراوياً عبر سيناء حتى وصل إلى شمال خليج العقبة، ومن هناك ذهب إلى أرض مدين.

إن المسافة الفاصلة بين المنطقتين طويلة وشاقة وتصل إلى حدود 250 ك.م، وهي منطقة وعرة جداً، ويبدو أن موسى عليه السلام أراد أن يهرب من وجه فرعون وجنوده الذين يلاحقونه أينما وُجد، لكنه اختار منطقة بعيدة جداً عن أرض الفراعنة حيث يأمن على نفسه من بطشهم ونعتقد أن إرادة الله تدخلت في ذلك، حيث اختار موسى عليه السلام الطريق الصحراوي الذي سيكون مستقبلاً الطريق الذي يسير فيه بنو إسرائيل، فموسى عليه السلام بعد رحلته أصبح يعرف شيئاً عن المنطقة ومداخلها وجبالها ووديانها، وعندما يحدث الخروج سيقودهم موسى عليه السلام عبر هذه الصحراء، وستكون الصحراء مسرح الأحداث القادمة والتي ستستمر عشرات السنين إضافة إلى تلقي الرسالة هناك.

س3: لماذا كانت مدين المنطقة التي اختيرت لتكون ملجأ للنبي موسى عليه السلام، على الرغم من وجود مناطق أخرى في شمال سيناء أو جنوبها مسكونة من قبل البشر؟.

من المؤكد أن مدين منطقة عربية يسكنها شعب عربي موزع على قبائل صغيرة يجمعها اسم واحد وهو اسم المديانيين، ومن المؤكد أن أول نبي ارتبط بهذه المنطقة هو شعيب عليه السلام. ومن تبقى من قوم شعيب عليه السلام ظلوا يسكنون في جوانب المنطقة

ومنهم أناس صالحون ظلوا على عقيدة التوحيد، كالرجل الشيخ الذي زوّج ابنته من موسى عليه السلام، ومديان من الناحية الجغرافية بعيدة عن متناول الفراعنة، فهي في أرض ليست من مناطق نفوذهم ولا سلطة لهم عليها بينما العديد من مناطق سيناء كانت خاضعة للفراعنة وجيوشهم متواجدة فيها وهي خطر على النبي موسى عليه السلام الذي أراد الله له أن يكمل رحلته ورسالته.

س4: بعد مكوث النبي موسى عليه السلام في مدين عشر سنوات هل تعلّم العربية وأصبحت لغته ونسي أكثر مفردات اللغة التي كان يتكلم بها عند المصريين؟.

من المؤكد أنه لا وجود للغة عبرانية آنذاك، ومن المفترض أن يعقوب عليه السلام عندما ترك أرض كنعان هو وأولاده كان يتكلم لغة كنعان وهي جزء قديم من اللغة العربية، وعندما استقروا في منطقة جاسان قرب النيل ظلوا محافظين على لغتهم الكنعانية التي كانوا يتحدثون بها ومن الممكن أنهم تعلموا اللهجة المصرية خلال وجودهم الذي دام حوالي 231 سنة، وعندما ظهر النبي موسى عليه السلام كان قد تعلم لغتين، أو لهجتين، لهجة قومه وهي لهجة أهل كنعان، ولهجة المصريين، وعندما جاء إلى مدين قويت لغته الأصلية، وتعلم لهجة أهل مدين، وهي لهجة ليست بعيدة عن لهجة أهل كنعان، بمعنى أن اللغة التي صارت ملك لسان موسى عليه السلام هي اللغة العربية المديانية الكنعانية، وعشر سنوات كفيلة للنبي موسى عليه السلام أن يتكلم بلغة أهل مدين وهي العربية.

س5 + 6: من هو الشيخ الذي التقى به النبي موسى عليه السلام في مديان وهل تعلم منه شيئاً من العقيدة؟ ولماذا اختاره ليكون زوجاً لابنته؟.

عند السؤال الخامس والسادس نتوقف قليلاً لنستوضح الكثير من الأشياء.

في التوراة يرد اسم صاحب مديان على أنه تارة رعوئيل وتارة يثرون.

فتقول في ذلك: «**فلما أتين إلى رعوئيل أبيهنَّ**»، وتقول في الإصحاح الثالث: «**وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان**».

ولا ندري أيهما اسمه، لكن قاموس الكتاب المقدس يقول: يثرون اسم مدياني معناه فضل، كاهن مديان وحمو موسى، ويدعى أيضاً رعوئيل أي صديق أو خليل ويظهر أن هذا الاسم كان اسمه الشخصي ويثرون لقب شرف أطلق عليه، ويرجح أن يثرون من نسل إبراهيم وقطورة[1].

أما في القرآن الكريم فقد ذُكرت مدين عشر مرات واقترنت بالحديث عن قوم شعيب عليه السلام، وعندما ندرس هذه الآيات نجد الكثير من المفاتيح التي توصلنا إلى حقائق جمة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 85 ـ 94).

---

(1) قاموس الكتاب المقدس، باب الباء.

وفي سورة هود تتكرر القصة ولكنْ يضاف إليها أمر جدير بالاهتمام وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾(سورة هود: 89)، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ (سورة هود: 98).

وتكرر الحديث عن النبي شعيب عليه السلام وقومه في سورة العنكبوت، وذكروا في آيات أخرى، وسور أخرى.

وهنا نتوقف قليلاً عند ما ورد في القرآن الكريم عن قصة موسى عليه السلام ووجوده في مدين ولقائه مع والد الفتاتين.

يقول تعالى في سورة القصص: ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ (سورة القصص: 23).

ويقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة القصص: 25).

ويقول تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(سورة القصص: 27)، ويقول: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ (سورة القصص: 28).

من خلال الآيات التي تحدثت عن شعيب عليه السلام وقومه نرى أن النبي شعيباً عليه السلام يتحدث عن الأقوام التي سبق وجودها وجود قومه، فاستشهد بما حل بقوم نوح ثم هود ثم صالح، ثم قال وما قوم لوط عنكم ببعيد.

وهذا الحديث يتساوق مع التسلسل التاريخي لوجود هذه الأقوام، لكن الملفت للنظر أن قوم لوط على المستوى الجغرافي وعلى المستوى التاريخي هم الأقرب لقوم شعيب، فقوم لوط كانوا في سدوم وعامورة وهي منطقة البحر الميت، وقريبة كثيراً من منطقة مديان التي تقع شرق خليج العقبة، ولا تفصل بين المنطقتين مسافة بعيدة، أما استشهاده بقوم لوط وقوله وما قوم لوط منكم ببعيد يدل على الحدث الذي أصاب قوم لوط لم يكن يبعد كثيراً في الزمن.

إن هذا يدلنا على أن قوم شعيب في مديان تواجدوا في المنطقة بعد قوم لوط مباشرة، وإذا أخذنا بقول قاموس الكتاب المقدس فإن شعيباً هو ابن مديان،

ومديان ابن النبي إبراهيم من زوجته قطورة، وهذا يعني أن شعيباً وُجد في المنطقة معاصراً ليعقوب وأولاده الذين ذهبوا إلى مصر واستقروا فيها.

وهذا يعني أن الشيخ الذي التقاه النبي موسى عليه السلام ليس النبي شعيباً، وعلى هذا يمكن أن نقول: إذا كان الزمن الفارق بين يوسف عليه السلام، وموسى عليه السلام حوالي 231 سنة فإن الفارق بين موسى عليه السلام، وشعيب عليه السلام لا يقل عن 250 ـ 300 سنة، ومن قال إن الشيخ هو شعيب ظن أن مدين هي الدليل على ذلك.

يقول ابن كثير: كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة، ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم"[1].

وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصري أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين، وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب.

على أية حال لو كان صاحب موسى عليه السلام شعيباً لذُكر ذلك في القرآن الكريم، فشعيب نبي بصريح القرآن، بينما هذا الشيخ المدياني لم يصرح بنبوته، ولم يصرح بشيء عنه يدل على أنه رسول أو نبي أو من أتباع نبي معين.

وهناك بعض الآيات التي تشير إلى صلاح هذا الشيخ وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص: 25)، وقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة القصص: 27)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (سورة القصص: 28).

موسى يتزوج عربية من مديان:

تقول التوراة: «**فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت له ابناً فدعا اسمه جرشوم**».

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، المجلد الأول، ص171.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (سورة القصص: 27).

تتفق رواية التوراة مع القرآن الكريم في الإطار العام في قصة زواج النبي موسى ﷺ بابنة شيخ مدين، والاختلافات تقع في طريقة الزواج وسببه.

في البداية تقول التوراة إن لكاهن مدين سبع بنات، والقرآن يقصُّ علينا أنهما ابنتان، وفي القرآن الكريم تفرّس الشيخ في موسى ﷺ فوجده عفيفاً قوياً مؤمناً، فأراد تزويجه من ابنته، ويورد القرآن مسألة الأجر وهو العمل ثماني سنين وكنى عليها بقوله حجج ومفرده حجة، أي ثماني سنوات حسب التقويم القمري العربي.

وقوله حجج يدل على أن مفردة حجة التي تستخدم في العربية كانت معروفة كمصطلح يدل على الحج إلى البيت الحرام، وباعتبار أن إبراهيم الذي سن هذا الفرض بأمر من ربه فإن أتباعه ولاسيما العرب اتبعوا سنته في تأدية هذه الفريضة، وهذا يعني أيضاً أن الشيخ كان يعرف معنى حجة وحجج، وأن موسى ﷺ كان يعرف ذلك أيضاً، لذلك لم تورد التوراة هذا الأمر لأنها تنكر وتخفي كما يخفي اليهود قصة الحقيقة حول النبي إبراهيم وبنائه الكعبة وفرض الحج على الناس.

ويمكن في هذا الإطار أن نسأل السؤال التالي: مديان قريبة نسبياً من قلب الحجاز ومكة وأهل المنطقة من المؤمنين يعرفون الحج كفرض من أيام النبي إبراهيم، وموسى مكث عشر سنوات في مديان، فهل من الممكن أن نفترض أن موسى قد ذهب إلى البيت الحرام ليحج وهي فريضة ارتباط بجده الأول إبراهيم ﷺ؟. نعتقد أن الأنبياء جميعاً حجّوا إلى البيت الحرام لأن غالبيتهم من أبناء وأحفاد إبراهيم وهم أولى الناس باتباع سنته وملّته والطريق الذي رسمه.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أن زوجة موسى عربية وليست من بني إسرائيل، وأن أولاده منها تربّوا في بيئة عربية، والتشريع اليهودي يقول: (اليهودي من كانت أمه يهودية) لذلك نقول: إن أولاد موسى ﷺ ليسوا من بني إسرائيل وليسوا يهوداً.

الفصل الثاني

موسى عليه السلام
والنداء الإلهي الأول
والصراع مع فرعون حتى الخروج

موسى عليه السلام والنداء الإلهي الأول

في هذا الفصل تبدأ مرحلة جديدة من حياة النبي موسى عليه السلام، وهذه المرحلة تحوي:

النداء الإلهي الأول لموسى، ثم توجهه خفية إلى أهله ومن ثم جداله مع فرعون الذي امتلأ بالأحداث السريعة حتى الأمر بالخروج من مصر إلى سيناء.

النداء الأول

تقول التوراة: «**وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة، فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة، وقال: موسى.. موسى، فقال: هأنذا، فقال: لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة، ثم قال: أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله، فقال الرب: إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم، إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأُصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والغرزيين والحويين واليبوسيين.**

(خروج: الإصحاح الثالث: 1 ـ 8).

وتقول: **فالآن هلمَّ فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر**.

(خروج: الإصحاح الثالث: 10).

وتقول: **حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل**». (خروج: الإصحاح الثالث: 12).

هذا ما كان من النداء الإلهي الأول لموسى عليه السلام حسب رواية التوراة.

ولننظر إلى النص القرآني بماذا يخبرنا وكيف ساق القصة في سياق ديني إلهي نبوي متميز: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (سورة طه: 9 ـ 24).

وفي الآية 42 وما بعدها يقول: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ (سورة طه: 42 ـ 47).

بعد إيراد النص القرآني بمقابل النص التوراتي، نجد أنفسنا وقد دخلنا في بحر من المعلومات وبحر من المعاني والظلال التي تمنحنا إياها آيات القرآن الكريم وتصحيح الأخطاء والتحريفات التي كثرت في التوراة إلى حد غير معقول.

وبالمقارنة نرى الأمور التالية:

1 - موسى عليه السلام كان يرعى غنمه حين تجلّى الله سبحانه له من خلال النار الرامزة إلى قدرته، حسب نص التوراة.

2 - موسى عليه السلام كان يرافقه ابنه وزوجته حسب النص القرآني.

3 - المكان المقدس في التوراة الذي تجلت قدرة الله فيه هو جبل حوريب حسب التوراة.

4- المكان المقدس في القرآن الكريم هو الواد المقدس طوى.

5- تتفق التوراة مع القرآن في قول الله اخلع نعليك أو نعلك.

6- يقول الرب لموسى عليه السلام أنا إله آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب حسب التوراة.

7- يقول الله سبحانه إنني أنا ربّك، وإنني أنا الله لا إله إلا أنا.

8- تحوّل التوراة النص إلى وعد إلهي لموسى عليه السلام بإخراج بني إسرائيل من مصر وتمليكهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً.

9- في القرآن الكريم يطلب الله سبحانه من موسى عليه السلام أن يعبده ويقيم الصلاة لذكره، ويعلمه أن اليوم الآخر آتٍ لا ريب فيه لتُجزى كل نفس بما عملت، ويطلب منه الالتزام بالله مهما حاول الكفرة أن يصدوه عن هذا الطريق.

الفارق بين التوراة والقرآن الكريم كبير وخاصة بالغايات والوسائل، وأهمها أن الله سبحانه يعلم موسى عليه السلام العقيدة ويهيئه لعمل دعوي عظيم عند فرعون، بينما أهمها عند التوراة التركيز على الوعد الإلهي المزعوم بامتلاك الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً.

10- تفترض التوراة أن الله نظر إلى مذلة شعبه فنزل ليدافع عنهم، وهذا من السخف التوراتي الذي يجعل من الله خادماً لبني إسرائيل ينزل لينقذهم من أيدي المصريين ويخرجهم من مصر إلى أرض أخرى تفيض لبناً وعسلاً ليمتلكوها.

ومن السخف التوراتي أنهم ينسبون إلى الله تحديد أرض فلسطين وهي ملك الكنعانيين وقبائلهم الستة.

11- في التوراة يطلب الله من موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون لغاية واحدة وهي إخراج بني إسرائيل من مصر.

12- في القرآن الكريم يطلب الله من موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون الذي طغى ليقول له قولاً ليناً ليتذكر أو يخشى، ويعود عن جبروته وكفره أولاً، ثم ليترك بني إسرائيل وشأنهم دون عذاب وتعذيب.

أين يقع جبل حوريب أو جبل سيناء؟.

جاء في قاموس الكتاب المقدس ما يلي: سيناء اسم جبل يطلق عليه أيضاً جبل حوريب واسم البرية المحيطة به، وقد أطلق عليه حوريب سبع عشرة مرة، وحسب الكتاب المقدس فقد قضى بنو إسرائيل بجانب هذا الجبل سنة، وكانت تحيط بهذا الجبل برية كافية لأن يعسكر فيها العبرانيون لمدة سنة.

وحسب رأي جستنيان ويوسيفوس المؤرخ فإن جبل حوريب هو جبل موسى عليه السلام، وهو عظيم الارتفاع ومن المستحيل تسلقه؛ لأنه حاد الصخور وشديد الانحدار ولا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه دون أن تؤلمه عيناه لأنه شديد الضوء.

ويقع وادي الراحة أسفل هذا الجبل وتبلغ مساحته أربعة أميال مربعة، وتوجد اليوم عند جبل موسى ـ حوريب ـ أديرة وكنائس اكتشفت فيها بعض النسخ القديمة من الأسفار المقدسة في اللغات اليونانية والسريانية والجورجية والأثيوبية والسلافية والعربية وقد اكتشفت النسخة السينائية للكتاب المقدس في اللغة اليونانية في دير القديسة كاترين وقد كُتبت في القرن الرابع الميلادي[1].

وإذا نظرنا إلى خريطة سيناء وجدنا أن جبل سيناء أو حوريب يقع في جنوبها وقريباً من الزاوية التي ينشق فيها البحر الأحمر إلى خليج السويس وإلى خليج العقبة، وقد ورد في القرآن الكريم اسم لوادٍ يدعى طوى، وورد في الآيات قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ (سورة القصص: 29).

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾(سورة القصص: 30).﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ (سورة القصص: 44).

جاء في البداية والنهاية: كان موسى عليه السلام في وادٍ اسمه طوى فكان موسى عليه السلام مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب، ويقال إن جبل الطور يقع في وادي طوى.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس، ص 499.

وعليه فهل جبل حوريب هو نفسه جبل طور؟.

وإذا كان جبل حوريب يُسمى أحياناً كثيرة جبل سيناء، فهل قوله تعالى في سورة التين: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ يؤكد لنا أن طور سيناء هو جبل الطور وفي الوقت نفسه هو جبل حوريب الذي ورد ذكره في التوراة؟.

على أية حال فإن الخريطة الموضحة لموقع جبل سيناء ـ حوريب تؤكد أنه يقع في القسم الجنوبي من صحراء سيناء، ومازال هناك أديرة عديدة قرب هذا الجبل إلى هذا اليوم تبركاً به باعتباره الذي كلم الله سبحانه عليه موسى نبي الله ورسوله حسب ما يتصورونه.

ولكننا هنا نطرح السؤال التالي: هل جبل الطور شهد النداء الإلهي الأول عندما ظهرت الشجرة التي تتأجج النار فيها ولا تحترق، وفي الوقت نفسه شهد نزول كتاب موسى في الألواح أم أن ذاك مكان وهذا مكان آخر؟.

وطور سينين كما ورد في كتاب إعراب القرآن وبيانه يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه، ولكونه مباركاً.

وقيل عن التين والزيتون، الجبل الذي يطل على دمشق والجبل الذي عليه بيت المقدس واسمها بالسريانية طورتينا وطورزيْتَا. فإذا أضفنا طور سينا تبين لنا أن كلمة طور تعني الجبل، والجبل يضاف إلى المكان للتعريف به.

من الملفت للنظر أن النبي موسى عليه السلام بُلّغ بأول نداء في جبل الطور حيث لا وجود لأحد من البشر، وكذلك بلّغ رسول الله محمد ﷺ وهو في غار حراء حيث لا بشر.

وهكذا الرسالات وأصحابها، وفي سورة التين جمع الله سبحانه بين ثلاثة من أماكن الرسالات. فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

فالزيتون أرض بيت المقدس حيث بلّغ عيسى عليه السلام وطور سينين أي جبل الطور حيث بلّغ موسى عليه السلام، وهذا البلد الأمين مكة التي بلَّغ في جبالها النبي محمد ﷺ.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ (سورة طه: 25 ـ 35).

ويقول تعالى: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ (سورة القصص: 34).

فقبل أن نتحدث عن الصراع مع فرعون ـ وهو صراع طويل ـ نتوقف عند مسألة ورد ذكرها في الآيات القرآنية وهي قوله تعالى: (هو أفصح مني لساناً)، وقوله (**واحلل عقدة من لساني**).

أورد المفسرون عدة تفسيرات حول هذا الأمر. والذي نعتقده أن النبي موسى عليه السلام لما مكث في مدين العربية تعلم لهجة أهلها القريبة من لهجة أهل كنعان، واختلطت لديه اللهجات وتداخلت اللهجة العربية بلهجة أهل مصر، وعندما أمر أن يذهب إلى فرعون شعر أنه لن يفهم عليه فاستعان بأخيه هاورن الذي كان في مصر ولم يغادرها وهو أقدر منه على التكلم بلهجة أهلها.

وجاء في التوراة حول هذا الموضوع ما يلي: «**فقال موسى للرب: استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان، فقال له الرب: من صنع للإنسان فماً، أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى أما هو أنا الرب، فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به، فقال: استمع أيها السيد أرسل بيدِ من ترسل، فحميَ غضب الرب على موسى وقال: أليس هارون اللاوي أخاك، أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضاً ها هو خارج لاستقبالك وأعلمكما ماذا تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً، وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات**». خروج 4: 10 ـ 17.

وحينما نقارن هذا النص بما جاء من كلام الله في القرآن الكريم نجد الكثير من الأمور الكامنة وراء السطور:

1 ـ موسى عليه السلام في القرآن الكريم يطلب من الله أن يكون هارون أخوه عوناً له.

2 ـ يظهر أدب الأنبياء مع ربهم في القرآن الكريم، أما في التوراة فتظهر قلة أدب مع الله وخاصة في قوله: (**أرسل بيد من ترسل فحميَ غضب الرب**).

3 ـ ماذا يعني قول التوراة: **وأنت تكون له إلهاً**، يبدو أن كاتب التوراة قد خانه التعبير أو أنه تقصد أن يقول ذلك ليرفع مقام موسى عليه السلام إلى مقام الألوهية.

ويرد في التوراة قولها: «**فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه وقال له: أنا ذاهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء، فقال يثرون لموسى: اذهب بسلام**» (خروج 4: 18).

وقال الرب لموسى في مديان: اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك، فأخذ موسى امرأته وبنيه أركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر» (خروج 4: 19 ـ 20).

من المهم جداً أن يظل كلام التوراة حاضراً في أذهاننا، وخاصة قولها: إن موسى عليه السلام رجع إلى يثرون والد زوجته، وقولها: قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك، وقولها: أخذ امرأته وبنيه.

عودة موسى عليه السلام إلى عمه والد زوجته كانت ليخبره ماذا حدث معه إضافة إلى وداعه له خاصة أنه يأخذ زوجته معه.

أما قولها مات جميع الذين كانوا يطلبون نفسك فهذا غير مصدق لأنه خلال عشر سنوات لا يكون هؤلاء قد ماتوا.

وقولها أخذ امرأته وبنيه، فالتوراة نفسها تقول إن موسى أنجب ولداً واحداً اسمه جرشوم فمن أين جاء بنوه الآخرون، وما هي أسماؤهم، وهل يظهر أبناؤه فيما بعد أم أن ذلك من أخطاء كاتب التوراة؟.

وبعد هذا الكلام ليس هناك كلام مهم في التوراة حتى يلتقي موسى عليه السلام بهارون، ولكن أين يلتقيان؟.

تقول التوراة: «**وقال الرب لهارون: اذهب إلى البرية لاستقبال موسى، فذهب والتقاه في جبل الله وقبّله**» (خروج 4: 27).

وهذا يعني أن هارون ذهب من جساسان إلى جبل طور سيناء وهذه الرحلة تستغرق يومين أو ثلاثة.

ويرد في بعض المصادر أن موسى عليه السلام ذهب إلى مصر خفية، ووصل بيته وكانت أمه ما تزال على قيد الحياة، فلم تعرفه حتى عرّف عن نفسه وكتم خبر وصوله حتى تباحث مع أخيه هارون كيف يلتقيان مع فرعون وكيف يجادلانه؟.

موسى عليه السلام وفرعون
بين التوراة والقرآن

يبدأ لقاء موسى عليه السلام مع فرعون بدءاً من الإصحاح الخامس في سفر الخروج، وما يهمنا منه مباشرة قول موسى عليه السلام لفرعون: (أطلق شعبي ليعيّدوا لي في البرية)، قال الرب.

تقول التوراة: «**فقالا: إله العبرانيين قد التقانا**» (خروج 5: 3).

من الملاحظ أن التوراة تكرس مقولة شعبي، وإله العبرانيين لتؤكد أن الله ربهم وحدهم وأنهم شعبه دون غيرهم، وهذا يمهد لمقولة شعب الله المختار التي سترد بعد سطور وصفحات.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ (سورة طه: 49 ـ 52).

إذاً الحديثُ هنا يتركز على الجدال مع فرعون حول العقيدة، الإيمان بالله والإيمان بالبعث، وما إلى ذلك من خلق الله للأرض وتسخيرها للإنسان، والسماء وإنزالها المطر..

ونلاحظ في التوراة إقحام الوعد الإلهي المزعوم باستعمار أرض كنعان.

فتقول التوراة: «**أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها**» (خروج 6: 4).

وتقول: «**وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً**». (خروج 6: 7).

وتقول: «**وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثا أنا الرب**». (خروج 6: 8).

ثم تقول التوراة على لسان موسى عليه السلام: «**فتكلم موسى أمام الرب قائلاً: هوذا بنو إسرائيل لم يسمعوا لي فكيف يسمعني فرعون وأنا أَغْلَفُ الشفتين**» (خروج 6: 12).

وقد استند التوراتيون على مقولة «**وأتخذكم لي شعباً**» ليخرجوا بمقولة شعب الله المختار، ويبنوا عليها النظرية العنصرية الصهيونية، أما قصة العهد الذي قطعه الله لبني إسرائيل، فقد حرص كاتب التوراة في القرن السادس قبل الميلاد أن يجسد الصراع مع شعب فلسطين بعد قصة التحرير البابلي الذي حدث على يد نبوخذنصر، والواقع أنه ليس هناك وعد وليس الله سبحانه خادماً عند اليهود ينفذ لهم طلباتهم ورغباتهم.

وفي النص الأخير يبدو أن النبي موسى عليه السلام بدأ بالتململ والتأفف من بني إسرائيل الذين لم يسمعوا لكلامه منذ البداية، وسنرى هذا التنافر بين النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل يستمر طويلاً حتى آخر المطاف.

وسندخل من هذه السطور في التفاصيل والتي تحدثت عن صراع فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام، وسنرى مدى التوافق مع القرآن الكريم ومدى التناقض.

تتحدث التوراة عن المعجزات التي أحدثها الله سبحانه أثناء الصراع بين النبي موسى وفرعون.

تقول التوراة: «**وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون**» (خروج 7: 7).

والمعجزات التي أجراها الله لموسى وهارون عليهما السلام.

1 ـ العصا التي تحولت إلى ثعبان: تقول التوراة: «**طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعباناً فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضاً بسحرهم كذلك طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلعت عصيّهم**» (خروج 7: 10 ـ 12).

ولم تذكر التوراة أن السحرة قد آمنوا برب موسى عليه السلام بعد أن رأوا المعجزة التي أبطلت سحرهم.

2 ـ تحويل الماء إلى دم وموت السمك في النهر: تقول التوراة: «**ثم قال الرب لموسى: قل لهارون خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى**

سواقيهم وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دماً فيكون دم في كل أرض مصر في الأخشاب وفي الأحجار» (خروج 7: 19).

3 ـ انتشار الضفادع على أرض مصر: تقول التوراة: «فمد هارون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر» (خروج 8: 6).

4 ـ انتشار البعوض: «مد هارون يده بعصاه وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم، كل تراب الأرض صار بعوضاً في جميع أرض مصر». (خروج 8: 17).

5 ـ انتشار الذبان: «فدخلت ذبان كثيرة إلى بيت فرعون وبيوت عبيده وفي كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان» (خروج 8: 24).

6 ـ موت المواشي: «فماتت جميع مواشي المصريين» (خروج 9: 6).

7 ـ الغبار الذي تحول إلى دمامل: «فأخذا رماد الأتون ووقفا أمام فرعون وذرّاه موسى نحو السماء فصار دمامل بنور طالعة في الناس وفي البهائم» (خروج 9: 10).

8 ـ إمطار السماء البرد العظيم: «فمد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعوداً وبَرَداً وجرت نار على الأرض وأمطر الرب بَرداً على أرض مصر». (خروج 9: 23).

9 ـ الجراد: «ثم قال الرب لموسى: مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد ليصعد على أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض كل ما تركه البرد، فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل، ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد، فصعد الجراد على كل مصر وحل في جميع تخوم مصر» (خروج 10: 12 ـ 14).

10 ـ انتشار الظلام: «فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام لم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام» (خروج 10: 22).

وفي القرآن الكريم ترد قصة النبي موسى عليه السلام وجداله مع فرعون في عدة سور قرآنية منها: سورة الأعراف، وسورة طه، وسورة القصص.

وقد وردت معجزات النبي موسى عليه السلام في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ (سورة الأعراف: 133).

إضافة إلى العصا وإخراج النبي موس ليده بيضاء من جيبه من دون سوء.

قصة العصا والسحرة:

يقول تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ (سورة الأعراف: 107 ـ 122).

ويقول تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ

مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (سورة طه: 57 ـ 70).

فالتفاصيل التي جاءت في سورتي الأعراف وطه تبين العديد من الأشياء التي غفل وتغافل عنها كتبة التوراة.

1 ـ إيمان السحرة بإله موسى عليه السلام بعد أن عرفوا أن ما فعله ليس سحراً وإنما معجزة من الله سبحانه، وأن أفعى موسى عليه السلام حقيقية وليس خداع بصر بسبب السحر، وإيمان السحرة لم يرد في التوراة.

2 ـ عندما ألقى السحرة عصيّهم وحبالهم خاف موسى عليه السلام فأوحى الله له فتشجع فألقى عصاه فإذا هي تلقف كل ما صنعوا.

3 ـ في التوراة تركيز على هارون وأنه هو الذي كان يستخدم العصا بأمر من أخيه موسى عليه السلام، وفي القرآن الكريم كان المقصود دوماً باستخدام العصا النبي موسى عليه السلام.

4 ـ أشار القرآن الكريم إلى تسع آيات بينات (أي تسع معجزات) وذلك في سورة الإسراء بقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (سورة الإسراء: 101).

وتتقارب المعجزات بين ما ورد في التوراة والقرآن الكريم وقد يكون هناك فارق واحد زيادة في التوراة، إذ ذكر القرآن الكريم تسعاً وذكرت التوراة عشراً.

وبعد أن أطلق فرعون اليد لبني إسرائيل استعدوا للهرب.

تقول التوراة: «**تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين**» (خروج 11: 2 ـ 3).

وتقول التوراة: «**طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً.. فسلبوا المصريين**» (خروج 12: 35 ـ 36).

وهذه السرقة وهذا السلب لم يتحدث عنه القرآن الكريم، ويبدو أن كاتب التوراة أراد أن يظهر أن المصريين سذج إلى درجة كبيرة حتى يسمحوا لبني إسرائيل أن يسلبوهم الذهب والفضة والثياب.

وتقول التوراة: «**فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد**» (خروج 12: 37).

هذا الرقم غير صحيح ومبالغ فيه كثيراً، لأن حقيقة ذلك غير ما ورد في التوراة.

يقول ابن حزم الأندلسي: (وبعد ذلك قال: وكان مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثين سنة، قال: هذه فضيحة الدهر وشهرة الأبد وقاصمة الظهر، إن سكن بني إسرائيل في مصر 400 سنة، وقد ذكر قبل أن فاهاث بن لاوي دخل مصر مع جده يعقوب ومع أبيه لاوي ومع سائر أعمامه، وأن عمر قاهاث كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة، وأن عمران بن فاهاث بن لاوي كان عمره مئة وسبعاً وثلاثين سنة، وأن موسى بن عمران عندما خرج ببني إسرائيل من مصر كان ابن ثمانين سنة، هذا كله منصوص كما نذكره في الكتاب الذي يزعمون أنه التوراة، ويرى ابن حزم أن مدة بني إسرائيل منذ دخل يعقوب وبنوه إلى مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى عليه السلام لم تكن إلا مائتي عام وسبعة عشر عاماً، فهذه كذبة في مائتي عام وثلاثة عشر عاماً، ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة لكفت في أنها موضوعة مبدلة)[1].

وتزعم التوراة أن عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر إلى سيناء كان ستمئة ألف ماشٍ عدا الأولاد.

وهذه طبعاً خرافة تخالف المنطق التاريخي والمنطق بشكل عام، لقد مكثوا مائتين وسبعة عشر عاماً، دخلوا مصر وكان عددهم 72 شخصاً وعلى رأسهم النبي يعقوب فهل يُعقل أن يصبحوا 600 ألف في غضون مائتي سنة؟ عدا الأولاد؟.

---

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص252 ـ 253.

فإذا جمعنا إليهم الأولاد صاروا أكثر من مليون؟.

ولو كانوا فعلاً بهذا العدد لما تغلب عليهم فرعون واستعبدهم. ولو كانوا بهذا العدد لحاربوا فرعون وجنوده وانتصروا عليهم.

يقول ابن حزم: أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قوله تعالى حاكياً عن فرعون أنه قال إذ تبع بني إسرائيل: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ (سورة الشعراء: 54).

وتقول التوراة: «**وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر**» (خروج 13: 17).

فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف، وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر، وأخذ موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً: إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم.

إذا نظرنا إلى هذا النص نرى عدة تناقضات وتلفيقات:

1 ـ فالتوراة تقول: إن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين، فالإسرائيليون ما يزالون في أرض مصر، فأين طريق أرض الفلسطينيين وهناك بحر سوف (الأحمر) ثم هناك صحراء سيناء، لكن كاتب التوراة أراد أن يدخل إقحاماً ذكر أرض فلسطين حين بدأ بنو إسرائيل رحلة الهروب من وجه فرعون.

2 ـ تقول التوراة: وأخذ موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه، وهذا كذب وليس حقيقة، فأجساد الأنبياء لا تبلى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قالت التوراة فيما سبق: إن يوسف حنّط جثة أبيه يعقوب ودامت عملية التحنيط 40 يوماً ثم نُقل إلى أرض الخليل ليدفن مع أبيه إسحق وجده إبراهيم، فلماذا لم يُحنط يوسف عليه السلام كما حُنط أباه؟ ومن المعروف أن المحنَّط يبقى جسده أو على الأقل يبقى الكثير من جسمه على ما هو عليه فترة زمنية طويلة، فإذا كان يوسف عليه السلام قد حُنط فهل بلي جسمه خلال مائتي عام؟.

إن قبر يوسف عليه السلام لم يُعرف في أرض فلسطين، والاعتقاد السائد أن قبر يوسف عليه السلام موجود في مصر ولم تنقل لا جثته ولا عظامه مع النبي موسى عليه السلام.

ثم تقول التوراة: «**وارتحلوا من سكُّوت ونزلوا في إيثام في طرق البرية وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب**» (خروج 13: 20 ـ 22).

ونلاحظ في هذا النص تجسيد الإله، ولو كان الذي يهديهم ملاك الرب لهان الأمر، ولكن عندما يقولون أن الله نفسه كان يمشي أمامهم عمود سحاب نهاراً وعمود نار ليلاً، فإنهم بذلك جسدوا الإله وحصروا عمله في خدمته، ألا يوجد لله عملٌ سوى هذا العمل؟، أين تدبير السماوات والكون والأراضي والبشر والموت والحياة؟، يبدو أن كاتب التوراة الذي ألف توراته في بابل تأثر بمعتقدات البابليين الذين أشركوا الآلهة في فعل البشر، حيث تصور الإنسان أن الآلهة تخدم البشر وتكون طوع أيديهم.

تقول التوراة: «**فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كفَّ عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية**» (خروج 14: 10 ـ 14).

وهذا النص يدل على الصَّغار والمذلة لدى بني إسرائيل، فهم يحتجون على النبي موسى عليه السلام لأنه أخرجهم من مصر، وهم هنا يفصحون عن عدم تفكيرهم بالله، ولم يقتنعوا بأن الله سينجي موسى عليه السلام وينجيهم، وهم يفضلون أن يبقوا خادمين للمصريين بدل أن يموتوا في البرية حسب قولهم. وليس في النص ما يشير إلى أي ذرة من إيمان بالله وبنبوة موسى عليه السلام.

ويصبر موسى عليهم فيقول لهم: لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، ثم قال الرب لموسى: ارفع عصاك ومد يدك إلى البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة.

وتقول التوراة: «**ومدَّ موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم**» (خروج 14: 21 ـ 23).

«**فقال الرب لموسى: مدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم، فمدَّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه فدفع الرب المصريين في وسط البحر فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر ولم يبقَ منهم ولا واحد**» (خروج 14: 26 ـ 29).

وتقول التوراة: «**فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر. ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين. فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى**» (خروج 14: 30 ـ 31).

لقد ذكر القرآن الكريم قصة شق البحر وهروب بني إسرائيل وغرق فرعون وجنود، ولكنْ هناك اختلافات بين القرآن والتوراة في كثير من الأمور لابد من مناقشتها.

ولابد بالتالي من التوقف عند هذا الحدث الكبير وماذا قال بشأنه العلماء والباحثون المتخصصون بهذا الشأن.

تورد التوراة أن الله أمر بني إسرائيل أن يرتحلوا إلى فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون والواقع أن فم الحيروت غير معلوم حتى الآن، كما أن هناك العديد من الأماكن باسم المجدل والتي معناها البرج أو الحصن،

وبعل صفون في شمال مصر لذا فإن المكان الصحيح لانغلاق البحر لا يمكن تحديده بطريقة مؤكدة[1].

ونعود إلى القرآن الكريم لنرى الآيات التي تحدثت عن هذا الحدث الكبير.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ (سورة طه: 77 ـ 79).

وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ (سورة الشعراء: 57 ـ 66).

ويقول تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ (سورة يونس: 90 ـ 92).

فالقصة بين ما ورد في القرآن الكريم وما أوردته التوراة تتطابق من حيث العموميات، ويختلف القرآن الكريم عما قالته التوراة في أنّ المصريين وُجدوا أمواتاً على الشاطئ وقد رآهم بنو إسرائيل وهذا لم يرد في القرآن، فمن أين لبني إسرائيل أن يروا المصريين أمواتاً على الشاطئ إذا كان عرض البحر ذا مسافة كبيرة، فإن الناس من الشاطئ الآخر لا يُشاهدون، أما إذا كانت المسافة قليلة فربما يشاهدون.

من ناحية ثانية لم تشرْ التوراة إلى ما قاله فرعون وهو يغرق، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن فرعون قد نُجي ببدنه ليكون آية لمن بعده، لذلك لم يأخذه البحر بل بقيت جثته.

---

(1) Oxford. Bible Atlas, "op-lit. p58.

وقد قال بعض علماء الحضارة المصرية إنهم وجدوا في أحد قبور الفراعنة جثة قد دفنت على عجل وأثناء فحصها تبيّن أن في الفم شيئاً من الملح، وأشاروا على احتمالات كبيرة بأن الجثة هي جثة فرعون موسى ﷺ.

لقد انشق البحر بمعجزة إلهية وهذا ما ورد في القرآن الكريم، ولكن هل يمكن تحديد المكان البحري الذي تمت فيه هذه المعجزة؟.

إن جميع الباحثين الآثاريين ينفون الخروج كواقعة تاريخية، ويرون أنه لا وجود لأي أثر مادي يدل على أن جماعة إسرائيل كانت في مصر وأنها خرجت منها باتجاه سيناء.

إسرائيل فنلكشتاين، نيل سلبرمان، ينفيان الخروج نفياً قاطعاً في كتاب (التوراة مكشوفة على حقيقتها).

السيد مورة الفرنسي يقول: الآثار المصرية لا تؤكد قطعاً وجود اليهود في مصر.

أرنست رايت: يقول هناك استحالة أن تتفق التنقيبات الأثرية مع أطروحات التوراة وخاصة قصة الخروج.

شانكس: ليس من أدلة على وقوع الخروج والعبودية في مصر ووجود موسى فيها.

وإضافة لهؤلاء يوجد العشرات من العلماء والآثاريين ممن ينكرون وجود بني إسرائيل في مصر، وحدوث قصة الخروج، ومنهم كمال صليبي وأحمد سليمان داود، وفاضل الربيعي، ولحق بهم بعض الباحثين الجدد من العرب.

ومن خلال ما طرحه هؤلاء الباحثون يتبين أن وجهة نظرهم تستند إلى ما جاء في بعض مدونات اليمن وخاصةً أسماء الأماكن الجغرافيةوبعض الأحداث التي حدثت فيها.

ومن وجهة نظرنا نرى أن دراستنا عن شخصية النبي موسى تتركز على المقارنة بين النص التوراتي والنص القرآني ودراسة مدى التحريف الذي قُصد من ورائه تضليل العقل البشري وحرف الحقيقة عنه.

صحيح أن علم الآثار لم يتوصل إلى نتيجة تحسم قصة خروج بني إسرائيل، ولم يُعثر على ما يدل على وجود بني إسرائيل في مصر، ولكن السؤال المطروح يقول هل يكفي علم الآثار لوحده كي يُثبت قصة خروج بني إسرائيل من مصر؟ أو عدم وجوده؟.

وإذا كان علم الآثار لا يستطيع إثبات هذا الخروج فهل يعني أن الخروج لم يتم؟.

وهل وجود كلمات وأسماء جغرافية في اليمن أو الجزيرة مشابهة لأسماء جغرافية موجودة في كتاب التوراة يعني أن بني إسرائيل كانوا في الجزيرة العربية أو اليمن؟.

ثم ما الذي نبغيه من غايات إذا قلنا إن بني إسرائيل لم يكونوا في مصر بل كانوا في شبه الجزيرة العربية أو في اليمن؟

إذا كانت الغاية سياسية تتعلق باحتلال فلسطين من قبل الاستعمار الصهيوني فإن الصهاينة استطاعوا إقامة دولة ويمتلكون قوة وهم موجودون بالقوة على أرض فلسطين، ونعتقد أن القوة الصهيونية قامت بسبب ضعف العرب والمسلمين وابتعادهم عن خط المقاومة المسلحة. وإذا كان الصهاينة قد ركبوا النص التوراتي ليكوّنوا النص السياسي فإن ذلك لا يعني أنهم امتلكوا حقاً مشروعاً؛ لأن النص التوراتي وحسب الدراسات الحقيقية واستناداً إلى النص القرآني، هو نص محرّف جيّر الموضوع الديني لمشروع سياسي استعماري.

ونعتقد أن صراعنا كعرب ومسلمين مع المشروع الاستعماري الصهيوني هو صراع وطني قومي ديني إنساني، ونفتقد أولاً أن نبيّن للعالم أن النص التوراتي نص عنصري مؤلف وليس له علاقة بالعقائد، وأن الأنبياء الذين ذكروا في التوراة كانوا مقموعين مقهورين من قبل أصحاب العقيدة اليهودية المستحدثة بل إن أكثر الأنبياء قتلوا على يد هؤلاء المنحرفين اليهود.

ثم علينا ثانياً أن نحارب هذا المشروع الاستعماري الصهيوني باعتباره أحد مشاريع الاستعمار الأوروبي الغربي.

إن القرآن الكريم يشير إلى معجزة أحدثها الله سبحانه حين أمر موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر لينغلق وتظهر اليابسة من تحت الماء ليدخل هو وقومه ثم ليدخل فرعون وراءهم ثم يغرق هو وجنوده.

وليست هي المعجزة الوحيدة التي أحدثها الله سبحانه للأنبياء، فهناك معجزات لا تقل أهمية عنها، ومنها مثلاً معجزة ناقة النبي صالح، ومعجزة ولادة المسيح من دون أب ومنها خلق المسيح لما يشبه الطير فيصير طيراً بإذن الله، ومنها معجزة الكبش الذي جاء به ملاك الله لإبراهيم، ومنها أيضاً معجزة تدمير سدوم وعامور، ومدن الدائرة في منطقة البحر الميت.

ولعل كل معجزة حدثت لتناسب عصرها، وتناسب طبيعة النبوة التي كان عليها كل نبي.

إن الكتّاب والباحثين العلمانيين يرفضون منطق المعجزة لأنهم أساساً يرفضون الدين ويرفضون القرآن الكريم، ولعل بعضهم أراد من وراء بحوثه استبعاد العديد من الحقائق القرآنية التي لم يتوصل إليها لا علم الآثار ولا علم التاريخ حتى الآن.

وقفات مع سفر الخروج:

جاء في التوراة: «**وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطّست ومسّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست، وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب**» (خروج 12: 22 ـ 23).

وجاء فيها: «**ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم**» (خروج 12: 13).

ففي هذا النص يقرر كاتب التوراة أن الرب أمر بني إسرائيل أن يضعوا الدم على عتبات بيوتهم لأنه حين يمر بين الحارات لا يعرف بيوت المصريين من بيوت

بني إسرائيل لذلك طلب منهم علامة تكون على عتبات بيوتهم حتى يميز بين البيوت فيدمر المصريين ويترك بني إسرائيل.

إن هذا الكلام يمس ذات الله ويصفها بأوقح الصفات وهي صفة العجز، فالله سبحانه لا يحتاج لعلامات حتى يميز بين البشر، فهو الخالق وهو العالم وعلمه مطلق، ولكن يبدو أن كاتب التوراة الذي أصابته لوثة الوثنية جاء بهذا الوصف للذات الإلهية الذي لا يليق به إنما هو صفات البشر القاصرين.

وجاء في التوراة: **ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر**. (خروج 14: 30).

وجاء أيضاً: **الفرس وراكبه طرحهما البحر**.

وتقول: **وعصاك التي ضربت بها النهر**. (خروج 17: 5).

وجاء فيها: **من مثلك بين الآلهة يا رب**. (خروج 15: 11).

وجاء فيها: **يسمع الشعوب فيرتعدون تأخذ الرعدة سكان فلسطين حينئذ يندهش أمراء آدوم، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة يذوب جميع سكان كنعان**. (خروج 15: 14 ـ 15).

أما كيف رأى بنو إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر فهذا أمر غريب لأن بني إسرائيل غرقوا في الماء، أو جرفتهم مياه البحر ولم يبقَ سوى فرعون حيث نجاه الله ببدنه ليكون عبرة لمن بعده، ثم لننظر إلى التناقضِ، تارة تقول البحر، وتارة تقول النهر، ولا ندري أيهما، وحين تقول التوراة: **من مثلك بين الآلهة يا رب**، وهذا دليل واضح على أن بني إسرائيل يعرفون عدداً من الآلهة لذلك قال كاتب التوراة هذه العبارة الوثنية.

وعندما تقول التوراة إن الرعب يأخذ بقلوب أهل فلسطين وأهل موآب وآدوم. لماذا يأخذ الرعب بقلوب هؤلاء؟ أليس ذلك ينم عن موقف مسبق لكاتب التوراة الذي يريد أن يصب غضبه على سكان فلسطين والأردن؟.

ثم ما الذي عرّف بني إسرائيل بسكان موآب وآدوم وكنعان، وهل سبق في سيرة من سبقهم أن جرت حرب بينهم وبين هذه القبائل؟ الواقع أن الحس السياسي والعداء للشعوب سطره كاتب التوراة بسبب وضعه الذليل أيام كان في بابل.

وتقول التوراة: **فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب؟** (خروج 15: 24).

وتقول مرة أخرى: **فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع.** (خروج 16: 1 ـ 3).

ثم يأتي في التوراة: **ولم يكن ماء ليشرب الشعب، فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماء لنشرب فقال لهم موسى: لماذا تخاصمونني لماذا تجربون الرب، وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش.** (خروج 17: 1 ـ 3).

فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني. (خروج 17: 4).

فهذه الفقرات تدل على أن بني إسرائيل استمرؤوا الذل عند المصريين وتذمروا على موسى عليه السلام، ويظهر واضحاً أن لا صلة بينهم وبين الله وعقيدة التوحيد، إنهم مازالوا متأثرين بالحياة السابقة حيث إشباع البطون من اللحوم والشراب ومتاع الدنيا.

الفصل الثالث

النبي موسى عليه السلام في سيناء
الوحي والتشريع والصراع
مع بني إسرائيل

النبي موسى عليه السلام في سيناء

لاشك أن مرحلة وجود النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وتوجههم إلى سيناء هي من أهم المراحل وأخطرها في حياة هؤلاء، وفيها محطات وتساؤلات عديدة ترتبط بالجغرافية والعنصر البشري والعقيدة والتشريع.

لاشك أن الكثيرين يتساءلون عن المنطقة البحرية التي تمت فيها معجزة الله بشق البحر.

والواقع ليس لدى علماء الآثار أو علماء التاريخ أي دليل على المنطقة التي حدثت فيها المعجزة، وفي إطار التخمين نرى أنه من الممكن حدوث هذه المعجزة في أقصى بقعة من خليج السويس.

وإذا نظرنا إلى جغرافية المنطقة التي حدثت فيها تلك الأحداث نرى أن بني إسرائيل انطلقوا من جاسان باتجاه الجنوب حتى وصلوا إلى بعل صفون شمال خليج السويس، وكان من المفترض حسب سيرهم ألا يعبروا بحراً ولا ماءً، إنما يسيرون على الجانب الشرقي لخليج السويس حتى يصلوا إلى جبل حوريب أو ما يسمى طور سيناء.

لكن هناك افتراض أن الطريق الذي سلكوه ينزل من جاسان جنوباً حتى وصلوا المنطقة الشمالية من خليج السويس، وأرادوا العبور تحت الضغط الفرعوني فتمت المعجزة آنذاك فانشق الماء إلى قسمين، وما بين الشاطئين ليس بعيداً جداً وليس عميقاً، إذ هو أقرب إلى البر في شمال الخليج.

على أية حال، تواجه الباحث مشكلة تشابه الأسماء بين جنوب سيناء وشمالها، فهناك جبل حوريب في الشمال، وهناك جبل حوريب في الجنوب، وما جاء في سفر الخروج 17/ 6 يرى أن جبل حوريب موجود في نفس منطقة العماليق الذين كانوا يسكنون النقب والنقب في فلسطين، وهذا يناقض الواقع، لكن ما يرجح وجود جبل حوريب هو إطلاق اسم طور سيناء على الجبل الذي تلقى فيه النبي موسى عليه السلام

الرسالة، إضافة إلى وجود الواد المقدس طوى، إضافة للقاء الذي حدث بين موسى عليه السلام والعبد الصالح قرب البحر والذي ورد ذكره في سورة الكهف، إضافة لوجود المديانيين الذين صاهرهم موسى عليه السلام وهم على الجانب الشرقي من خليج العقبة.

ومع ذلك فإن ما يُطرح بهذا الشأن ليس سوى افتراضات قد ترجح بعضها على بعض وقد يرجح غيرنا عكس ترجيحنا، ويبدو من ظاهر الأشياء أن النبي موسى عليه السلام قاد بني إسرائيل في طريق يعرفه وهو الطريق الذي سار فيه ليصل إلى مديان، ثم في عودته إلى مصر تجلى الله له في جبل سيناء الذي يُسمى عند التوراتيين جبل حوريب، أو جبل الرب.

بنو إسرائيل في سيناء:

يقول تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 138 ـ 140).

من الواضح تماماً أن بني إسرائيل نجاهم الله من فرعون ومن البحر، ودخلوا سيناء، وبمجرد دخولهم مرّوا بقوم يعبدون آلهة أصناماً فدبت الغيرة والذكرى في قلوبهم فطلبوا من النبي موسى أن يجعل لهم إلهاً مثل هؤلاء القوم.

ومن الواضح أيضاً أن بني إسرائيل الذين قادهم النبي موسى عليه السلام إلى سيناء لا يعرفون شيئاً عن ديانة التوحيد، وقد ظنوا أن موسى عليه السلام قادهم ليصنع لهم عقيدة وثنية كما للمصريين وللأقوام الوثنية الأخرى، لذلك وصفهم النبي موسى عليه السلام بأنهم قوم يجهلون ولا يعرفون التمييز بين عقيدة وثنية وأخرى توحيدية.

ومن المعروف أن المصريين تميزوا بكثرة الآلهة الوثنية وقد تربى بنو إسرائيل في جو عقيدة المصريين ولم يعرفوا عقيدة التوحيد التي كان عليها يوسف والأنبياء وموسى عليه السلام بل سرعان ما انقلبوا عن العقيدة إلى عقيدة أخرى.

ويبدو أن بني إسرائيل ظلوا يحاورون أنفسهم بشأن صنع إله لهم، وسار موسى عليه السلام بهم وترك القوم الذين يعبدون الأوثان حتى وصل إلى جبل سيناء الذي جرى فيه تنزيل الرسالة على النبي موسى عليه السلام.

بعد ذلك نواجه ما قالته التوراة بشأن الذات الإلهية والتجليات التي جاءت على ذكرها التوراة، وهي في مجملها تجسيد لذات الله وتجديف عليه، وسنرى كيف كان القرآن واضحاً في الحديث عن تجليات الذات الإلهية لموسى عليه السلام وكيف أنزل الرسالة عليه.

تقول التوراة: **فلما كلم موسى الشعب بما قاله الرب قالوا كل ما تكلم به الرب نفعله فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين، لأنه في اليوم ينزل الرب أمام عيون كل الشعب على جبل سيناء وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية وتحذرهم من أن يصعدوا إلى الجبل أو يمسوا طرفه لئلا يقتلوا أو يرجموا أما عند صوت البوق فإنهم يصعدون إلى الجبل.** (خروج 19: 8 ـ 13).

وفي اليوم الثالث صارت بروق ورعود وسحاب ثقيل على الجبل ووقفوا أسفل الجبل، وكان جبل سيناء كله يدخن لأن الرب نزل عليه بالنار وارتجف كل الجبل جداً فكان صوت البوق يزداد اشتداداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت.

وأمر الله موسى أن يصعد إليه ومعه هارون وحذر الكهنة والشعب أن يصعدوا حتى لا يبطش بهم.

ما الذي نفهمه من هذا النص؟ الواقع أن الذي نفهمه أن انفجاراً بركانياً وقع في جبل فصار يدخن ويهتز وخاف الناس من الاقتراب إليه.

لكن الذي يفسد المنظر المرعب أن التوراة تقول إن الرب ينزل على الجبل أمام عيون كل الشعب، فكيف ينزل الرب على الجبل وكيف تراه عيون كل الشعب؟ فهل لله شكل محدد وحجم محدد حتى ينزل على الجبل، وهل الله سبحانه يُري نفسه للناس؟ أليست هذه وثنيةً وجرأةً على ذات الله.

وتقول التوراة: وحذر الكهنة، فهل كان كهنة في ذلك الوقت، إن الله لم يكن قد أمر موسى ﷺ بإجراءات أو طقوس ليقوم بها الكهنة. وقد تم اختيار هارون للكهنة فيما بعد وليس في هذا الوقت، ولكن يبدو أن كاتب التوراة غفل بسبب غبائه عن هذه المسألة فوقع في الخطأ الفادح، ويبدو أن عقلية هؤلاء ما تزال مرتبطة بالمؤثرات الوثنية، ولعل كاتب التوراة لم يفارق تلك الوثنية الفجة.

ولنلاحظ ماذا تقول التوراة متابعة مسألة التجسيد والتجسيم:

1 ـ **فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب.** (خروج 19: 9).

2 ـ **وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله فوقفوا في أسفل الجبل وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً.** (خروج 19: 17 ـ 18).

3 ـ **ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل.** (خروج 19: 20).

4 ـ **وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن.** (خروج 20: 18).

5 ـ **وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله.** (خروج 20: 21).

6 ـ **ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا.** (خروج 24: 10 ـ 11).

7 ـ **وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة.** (خروج 24: 17 ـ 18).

من الملاحظ أن التوراة تصر على التجسيم والتجسيد وتصور الإله حاضراً أمام عيون بني إسرائيل وهذا كله من وهم التأليف والمؤلف. وليس هناك أي شيء

من الحقيقة حول ذلك ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا آياته تتحدث عن هذا المضمون ولكن بصورة لا تجسّد ولا تجسم ولا تتخيل.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: 143).

فالله سبحانه يقول لنبيه لن تراني، وهذه حتمية قدرته. فكيف تقول التوراة أن الله كان أمام عيون بني إسرائيل يرونه عياناً.

ولننظر إلى قوله تعالى: ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فكيف يستقر الجبل وهو مخلوق من مخلوقات الله وهل يتحمل هذا المخلوق أن يتجلى الله سبحانه بقدرته عليه. الواقع أن الآية تقول لنا فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً. ويا للمنظر الرهيب الذي صُعق النبي موسى لما رآه وغاب عن الوعي.

فكيف تستسهل التوراة لقاء موسى بربه عياناً وكيف تجرؤ على قولها إن عيون بني إسرائيل كانت ترى الله. فما هو هذا الإله الذي يُري نفسه للناس؟

ثم ما هذا الإله الذي تحته مكشوف وفوقه مكشوف، ويقولون كشبه عقيق تحته أو تحت رجليه شبه عقيق أزرق شفاف. إن كل هذه الأوصاف الوثنية استقاها كاتب التوراة مما فعله البابليون في معابدهم الوثنية. وكأنه يتصور إله بني إسرائيل كالإله مردوخ إله البابليين.

ويقول تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ (سورة الأعراف 155).

لقد اختار موسى سبعين رجلاً من قومه ليشهدوا ماذا نزل على موسى من أوامر وليس لرؤية الله كما تقول التوراة. وعلى الرغم من ذلك فقد أخذتهم الرجفة

أي الهزة الأرضية التي كادت تقضي عليهم لتنذرهم وتحذرهم وتذكرهم بما فعل السيئون منهم. ومن بني إسرائيل على العموم.

ماذا تلقى النبي موسى من تعاليم وهو في ميقات الله؟

قبل أن ينزل الله سبحانه على موسى الشريعة التي كُتبت حسب النص التوراتي على لوحين تفرد التوراة عدداً من الإصحاحات وهي 25 ـ 26 ـ 27 ـ 28 ـ 29 ـ 30 ـ 31 للحديث عن صناعة تابوت العهد. وتأتي على تفصيلات دقيقة تُدخل القارئ في متاهات كبيرة. ولعل ما يلفت النظر في هذه الإصحاحات التركيز على الذهب كعنصر أساسي في صناعة هذا التابوت وهو صندوق لا يتجاوز طوله السبعين سنتمتراً وعرضه الخمسين سنتمتراً.

وإذا نظرنا إلى هذه الإصحاحات لا نجد فيها أي تشريع ولا نصوص تتحدث عن العقيدة بأبوابها الواسعة، سوى الحديث عن يوم السبت والاستراحة فيه لأنهم يعتقدون كما تقول التوراة أن يوم السبت كان يوم استراحة للرب (**وفي اليوم السابع استراح وتنفس**) خروج 31 : 17 وحول هذه الأوصاف التي تحدثت عنها التوراة يرد ألف سؤال وسؤال.

فمن أين جاء بنو إسرائيل بالذهب والفضة. وكيف تم الحصول على نقوش حجارة وترصيع وكيف تمت نجارة الخشب ومذبح البخور ومذبح المحرقة والقاعدة والثياب المنسوجة والثياب المقدسة لهارون الكاهن ـ حسب وصف التوراة.

وكيف تمت صناعة مذبح إيقاد البخور من خشب السنط. وهل يوجد خشب سنط في صحراء سيناء؟ وعندما تقول التوراة: تغشيه بذهب نقي سطحَه وحيطانه حواليه وقرونه وتصنع له إكليلاً من ذهب حواليه وتصنع له حلقتين... الخ. فإن هذه الأوصاف التي ينسبون لله تفصيلاتها ليست سوى أوصاف المعابد الوثنية التي رآها كاتب التوراة في بابل.

وحقيقة التابوت تقول إنه صندوق عادي صنعه النبي موسى ليحفظ فيه ما تبقى من الألواح وبعض الأدوات كالعصا التي أفادت النبي موسى في عدة مواقف، ووعاء المن والسلوى كما تقول التوراة.

والمهم في هذه الأسفار وهي سبعة أسفار أنها تُكرس لوصف هذا التابوت داخلاً وخارجاً.

بينما لا تعير هذه الأسفار أي أهمية للغاية التي ذهب من أجلها النبي موسى لتلقي الرسالة.

وبينما كان موسى عليه السلام في ميقات ربه الذي استغرق أربعين يوماً وأربعين ليلة إذا ببني إسرائيل ينحازون إلى عقيدة أخرى. وتذهب كل مواثيقهم هباءً منثوراً. وكأنهم ما عاهدوا ولا قالوا: (**نستمع لكل كلام الرب**).

فبمجرد شعورهم بأن النبي موسى عليه السلام قد أطال المكوث على الجبل راحوا يفتشون صيغة جديدة للإله.

تقول التوراة: «**ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما رأى هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد للرب**» (خروج 32: 1 ـ 5).

فهذا النص يشير إلى أن النبي هارون كفر بربه الواحد وانحاز لعبادة الوثن أو الصنم الذي هو عجل من ذهب، ولم يأتوا على ذكر السامري الذي صنع العجل. ومن الطبيعي أن هارون عليه السلام نبي مرسل وحاشا أن يفعل كما قالت التوراة.

وفي المقاطع التالية في التوراة يُنسب إلى النبي موسى عليه السلام تحميل مسؤولية انحراف بني إسرائيل إلى أخيه هارون، ثم تبين التوراة أن هارون ضعيف الشخصية

استطاع بنو إسرائيل إخضاعه وإقناعه بصناعة هذا العجل. وهذا غير صحيح وتلفيق وتشويه للنبي هارون عليه السلام.

وترتبط قصة العجل بقصة الألواح التي كتبت عليها الشريعة.

تقول التوراة في ذلك: «**قال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتُهم به صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر**» (خروج 32: 7 ـ 8).

وتتابع التوراة: «**فانصرف موصى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين**» (خروج 32: 15 ـ 16).

وتقول: «**وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص. فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسّرهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذرّاه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل**» (خروج 32: 19 ـ 20).

وقال موسى لهارون: «**ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة**» (خروج 32 : 21).

وفي هذا النص عدة مسائل:

1 ـ نزل النبي موسى من الجبل ومعه لوحان وليست ألواحاً.

2 ـ تقول التوراة اللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة منقوشة على اللوحين.

3 ـ كسّر النبي موسى اللوحين في أسفل الجبل.

4 ـ أخذ العجل الذهبي أحرقه بالنار وطحنه وذرّاه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل.

وحينما نبدأ من المسألة الرابعة نتساءل لماذا طحن النبي موسى العجل الذهبي ثم رشه على وجه الماء ثم سقى بني إسرائيل من الماء.

وإذا كان العجل مصنوعاً من الذهب فهل يطفو فوق سطح الماء حتى لو كان مطحوناً كالطحين لماذا سقى موسى بني إسرائيل من الماء الـذي رش عليـه الـذهب المطحون. وما غايته من ذلك؟ بالطبع لا نجد تفسيراً لـذلك، إنـما نخمّـن الأمـور تخميناً والله أعلم هل فعل موسى ذلك أم لم يفعل.

وإذا فعل ذلك فإن ما يبدو من القصة هو عقاب بني إسرائيل أولاً ثم البرهان على أن ما عبدوه لا ينفع ولا يضر.

أما المسألة الثالثة، فإن التوراة تورد أن النبي موسى كسر اللوحين. بمعنـى أن كل ما كُتب من تشريع ضاع بسبب تكسير اللوحين.

أما المسألة الثانية، فتقول التوراة إن اللوحين من صنع الله والكتابة كتابـة الله. وكأن الله سبحانه خادم لبني إسرائيل يصنع لهم لوحين ويكتـب علـيهما بيـده، فهـو ليس عنده ملائكة يكتبون ويصنعون وليس الله قادراً بأبسط أنـواع خلقـه أن يقـول للشيء كن فيكون. فهذا الكلام التوراتي معهود لدى أصحابه وهـو تجـسيم وتـشبيه وغباء من كاتب التوراة التي ظل الحس الوثني البابلي مسيطراً على دماغه.

ويرى الباحثون في التراث الكنعاني أن الجملـة التوراتيـة التـي تقـول أحرقـه بالنار وطحنه وذرّاه على وجه الماء موجودة في الأساطير الكنعانية التي اكتـشفت في أوغاريت بالمعنى نفسه.

ويبدو أن كاتب التوراة الذي اطلع على الحـضارة البابليـة وأختهـا الكنعانيـة استعار مثل هذه الجملة ووضعها في توراته التي ألّفها.

النص القرآني وقصة العجل والألواح

تعتبر قصة العجل بالنسبة لبني إسرائيل مـن أبـرز القـصص التـي تناولهـا القرآن الكريم فهي محطة بارزة في حياة بني إسرائيل كونها تشير إلى عـدم إيمانهـم بالله الواحد الأحد وكونها تـشير إلى أن بنـي إسرائيـل مـا زالـوا متـأثرين بعبـادة المصريين الوثنية.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: 51).

ويقول تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (سورة البقرة: 54).

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: 92).

ويقول تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (سورة البقرة: 93).

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ (سورة النساء: 153).

ويقول تعالى: ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (سورة الأعراف: 152).

ويقول تعالى: ﴿قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ (سورة الأعراف: 148).

ويقول تعالى ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ (سورة طه: 88).

فكما رأينا لقد ورد الحديث عن العجل الذي عبده بنو إسرائيل في ثماني آيات وبعدة سور.

ويقول تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ (سورة طه: 87 ـ 97).

ومن خلال الآيات السابقة نتبين ما يلي:

1 ـ عبد بنو إسرائيل العجل على الرغم من البينات التي بينها الله لهم على أنه الواحد الأحد. وهي بينات عديدة وفي كليتها معجزات إلهية خارقة لناموس البشر.

2 ـ تشرّب بنو إسرائيل عبادة العجل من زمن وجودهم في مصر واستمروا على حبهم لعبادته.

3 ـ تبين أن السامري هو من صنع لهم هذا العجل وليس للنبي هارون أية صلة بذلك كما قالت التوراة واتهمته أنه هو من صنع العجل.

والواقع حين ندرس عبادات الفراعنة نجد أن أحد آلهتهم العجل الذي كانوا يسمونه أوبيس وقد تأثر بنو إسرائيل بهذه العبادة وظلت ملتصقة بنفوسهم حتى بعد أن رأوا معجزات الله التي أجراها لإنقاذهم.

وجاء في البداية والنهاية أن رجلاً من بني إسرائيل يقال له هارون السامري أخذ ما كان استعاره من الحلي فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان قد أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه، وقيل كانت الريح إذا دخلت دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله ويفرحون.

وحين التقى النبي موسى بأخيه هارون قال له: هلا لما رأيت ما صنعوا اتبعتني فأعلمتني بما فعلوا؟! فرد هارون عليه: إني خشيت أن تقول خرقت بين بني إسرائيل أي تركتهم وجئتني وأنت قد استخلفتني فيهم. وكان هارون قد نهاهم عن فعل هذا الصنيع الفظيع أشد النهي وزجرهم عنه أتمّ الزجر وطلب منهم أن يطيعوه فلم يطيعوه ولم يتبعوه[1].

ثم أقبل النبي موسى إلى السامري فقال: ما خطبك؟ ثم تحدث ابن كثير عن قصة السامري وكيف أخذ قبضة من أثر الرسول ووضعها في صنع العجل الذهبي،

---

(1) ابن كثير/ البداية والنهاية الجزء 1 ص 254 ـ 255.

وقد عاقب موسى عليه السلام السامري حيث دعا عليه أن لا يمسّ طوال حياته وله حساب يوم القيامة.

ألواحٌ أم لوحان

تذكر التوراة مراراً أن الله أعطى النبي موسى لوحين مكتوب عليهما كثيرٌ من التشريعات ويذكر القرآن الكريم عدة ألواح وليس لوحين.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 150).

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (سورة الأعراف: 154).

تقول التوراة إن موسى كسر اللوحين. وقد أبدله الله غيرها وليس في القرآن ما يدل على ذلك. وليس في اللفظ ما يدل على أن الألواح قد تكسرت.

وهنا لابد من التوقف عند الحديث عن الألواح في القرآن الكريم واللوحين في التوراة.

تقول التوراة إن الله أمر موسى أن يصنع لوحين آخرين بدل اللوحين اللذين كسرهما «**قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما**» (خروج 34: 1).

وتقول التوراة: فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر.

وتقول التوراة: (**ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله**). (خروج 23).

وفي التوراة السامرية: كان اللوحان من الجوهر.

ومن خلال قول التوراة: «**فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر**».
نستدل على أن ما كتب في لوحي التوراة عبارة عن كلمات قليلة باعتبار أنها عشر كلمات.

والمدقق في الأقوال التوراتية يرى أن اللوحين كانا في يد موسى عليه السلام عندما نزل من الجبل. ثم عندما طرحهما كانا في يديه الاثنتين. وهذا يعني أن اللوحين من حيث الحجم صغيران. بينما نرى أن ما ورد في أسفار موسى الخمسة حسب قول التوراة يحتاج إلى عشرات الألواح. على الرغم من قول التوراة أن اللوحين كانا مكتوبين على الوجهين وكل ذلك لا يتسع لهذا التشريع وهذه الأسفار التي ينسبونها لموسى عليه السلام.

أما القرآن الكريم فيقول الله عز وجل فيه. ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 145). فالألواح حوت مواعظ عن كل شيء مما يحتاجون له من أمر الدين والدنيا. وهذه المواعظ هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين. والتفصيل هو تبيان للأحكام وعندما نعود إلى قول التوراة إن موسى كسر الألواح وأن الله أعاد كتابة التشريع الموسوي على لوحين جديدين ثم أعطاهما لموسى. نرى أن موسى عليه السلام لن يقدم على كسر الألواح بعد أن مكث أربعين يوماً وهو في تربية روحية فريدة ولا يُعقل أن يفرط بهما مهما كان السبب.

أما القرآن الكريم فيقول وألقى الألواح ولا يعني أنها تكسرت. وعندما ذهب الغضب عن النبي موسى أخذ الألواح. أما قول التوراة بأن الله كتب له لوحين جديدين مرفوض والأصح ما قاله المحدّثون بأن الألواح كانت سبعة فرفع منها ستة أسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقي منها من المواعظ والأحكام والحلال والحرام[1].

وعندما ينسبون لموسى عليه السلام الأسفار الخمسة ومنها سفر التكوين الذي يتحدث عما سبق فإنهم خاطئون. لأن سفر التكوين دخل عليه التأليف والتحريف. لأن الألواح التي ألقاها موسى فُقد منها ما يخص الغيبيات وبقي التشريع.

---

(1) محمد طه الدرة: تفسير القرآن وبيانه وإعرابه، مجلد 5 ص 86.

من جانب آخر فإن ذهاب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه ورد في الإصحاح 31 ـ 32 من سفر الخروج. وهذا يعني أن ما دُوّن في التوراة في سفر الخروج من الإصحاح الأول وحتى الثلاثين كتب قبل أن تنزل الألواح فكيف دُونت واعتُبرت من أسفار موسى الخمسة التي أنزلت عليه، هل كتبها قبل أن تنزل الرسالة عليه أم أن هذه الإصحاحات ليست مما نزل على موسى لأن ليس بها أحكام ولا تشريع ولا حلال ولا حرام. أما كيف احتوى سفر التكوين على قصص الخلق وآدم وأولاده وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وأولاده ويوسف فإن ذلك جاء من خلال التناقل الشفهي بين بني إسرائيل. ولا ريب أن موسى وهارون عليهما السلام ظلا يعلّمان بني إسرائيل التشريع وقصص الكون والخلق والأنبياء الأولين حسبما علمهما إياها ربُّ العالمين وذلك من خلال استمرار الوحي والتعليم الإلهي لموسى وليس شرطاً أن يكون ذلك مما كُتب في اللوحين أو الألواح[1].

وبعد تلقي النبي موسى عليه السلام الألواح راح يلقن بني إسرائيل التشريع. وها نحن مرة أخرى نرى التوراة تعود إلى تجسيد ذات الله بتصورات وخيالات ليس لها علاقة بالحقيقة.

1 ـ فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة.

2 ـ وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى.

3 ـ ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه.

4 ـ فقال (الرب) وجهي يسير فأريحك فقال له إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا.

5 ـ فقال أرني وجهك... فقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش وقال الرب هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز

(1) د حسن الباش: الكتاب والتوراة/ ص 13.

مجدي إني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز ثم أرفع يـدي فتنظر ورائي أما وجهي فلا يُرى.

6 ـ فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسـم الـرب فاجتـاز الـرب قدامه فأسرع موسى وخرّ إلى الأرض وسجد.

وبقية إصحاحات سفر الخروج بدءاً من الإصحاح الخامس والثلاثين وحتى نهاية سفر الخروج حديث مملّ ومفصلٌ عن صناعة تابوت العهـد وقـد عهـد النبـي موسى لرجل اسمه بصلْئيل لصناعة هذا التابوت والألبسة الخاصة بالكهنة الـذين انتقاهم النبي موسى وهم من أولاد النبي هارون عليهما السلام.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم وتتبعنا سيرة النبي موسى عليه السلام مع بني إسرائيـل نرى من البداية حتى النهاية الأمور التالية:

1 ـ موسى عند فرعون وقد تحدثنا عنه في صفحات سابقة.

2 ـ موسى والخروج وتحدثنا عنه في صفحات سابقة.

3 ـ موسى في سيناء وعبادة العجل من قبل بني إسرائيل وقد ورد ذلك قبلاً.

4 ـ موسى والألواح والشريعة وقد سبق ذكره.

5 ـ كتاب موسى والتوراة.

6 ـ الطلب من موسى أن يروا الله جهرة.

7 ـ استسقاء موسى لقومه وضرب الحجر لينفجر ماء.

8 ـ لن يصبروا على طعام واحد.

9 ـ قصة البقرة.

10 ـ قصة قارون. وهو من قوم النبي موسى عليه السلام.

11 ـ نتق الجبل على بني إسرائيل.

12 ـ قصة النبي موسى والعبد الصالح.

13 ـ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم. أين هي الأرض المقدسة؟

النبي موسى بين الكتاب التوراة

يرد في القرآن الكريم أربع مصطلحات تخص النبي موسى عليه السلام. وهي الصحف، والألواح والكتاب ومصطلح يخص بني إسرائيل وهو التوراة.

وقد جئنا على ذكر شيء فيما يخص الألواح. ويبقى لدينا حديث عن مصطلح الصحف والكتاب والتوراة.

ذكر الله سبحانه الصحف في قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (سورة الأعلى: 19).

فهل هذه الصحف ترتبط بالتوراة أو بكتاب موسى عليه السلام؟

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (سورة الأعلى: 14 ـ 19).

فصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام حوت تلك الأشياء. وأعتقد أن الله سبحانه لما أمر موسى بالذهاب إلى فرعون كان متسلحاً بتلك الصحف. وليس المقصود الصحف المكتوبة إنما قد تكون كلاماً توجيهياً ألقاه الله على موسى في أول خطوة نبوية خطاها وهي تبليغه بأن يذهب إلى فرعون الذي طغى وقال أنا ربكم الأعلى.

وتتضمن هذه الصحف التعريف بوحدانية الله والإيمان بالآخرة وتأدية الفرائض وبعث الأموات. وهذه القضايا تحدث بها النبي موسى عند فرعون قبل أن ينزل عليه الله سبحانه الكتاب. وليس من إشارة إلى هذه الصحف بالتوراة ولا في أي مصدر آخر غير القرآن. أما الكتاب، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موقعاً من القرآن الكريم وفي كل موقع كانت كلمة كتاب تقترن باسم النبي موسى عليه السلام.

يقول تعالى:

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة: 53).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ (سورة البقرة: 87).

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (سورة الأنعام: 91).

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (سورة الأنعام: 154).

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (سورة هود : 17).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ (سورة هود: 110).

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (سورة الإسراء: 2).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: 49).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ (سورة الفرقان: 35).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (سورة القصص: 43).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ (سورة السجدة: 23).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ (سورة فصلت: 45).

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (سورة الأحقاف: 12).

بينما ارتبطت كلمة كتاب ببني إسرائيل عدة مرات. ووردت كلمة أهل الكتاب مرات عدة ويقصد بها اليهود والنصارى.

فالكتاب الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام مثل أي كتاب سماوي أنزله الله على أنبيائه يعني كتنزيل الإنجيل وتنزيل القرآن الكريم.

لكن يبدو أن كلمة آتيناه التي خصت الكتاب تدل على أن الله سبحانه آتى موسى الكتاب دفعة واحدة كما أنزل الإنجيل على سيدنا عيسى دفعة واحدة بينما القرآن نزل منجماً على 23 سنة.

ومن خلال الآيات التي مرت معنا نستدل على أن هذا الكتاب الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام هو نور وهدى. وعلى أحسن ما يمكن وهو إمام ورحمة يُقتدى به. وهو هدى لنبي إسرائيل. وقد اختلف اليهود في هذا الكتاب، والاختلاف حاصل من

عدة وجوه. فهل اختلفوا في أحكامه وتشريعاته؟ أم اختلفوا في وجوده وعدم وجوده؟ أم اختلفوا في كونه منزلاً من الله أم أنه من صنع موسى عليه السلام؟

وفي هذا الإطار لابد أن نطرح الأسئلة التالية:

هل كتاب النبي موسى هو نفسه ما كتب على الألواح؟

هل كتاب موسى عليه السلام هو نفسه التوراة؟

ما علاقة كتاب موسى بالأسفار الخمسة من التوراة؟

وهل من الممكن القول إن كتاب موسى والتوراة المنزلة هما التوراة التي بين أيدينا اليوم؟

يبدو أن الألواح وأعدادها غير معروفة. فربما كانت سبعة ألواح كما ورد في بعض كتب الحديث أو التفسير. فإذا كان كل لوح قد كتب عليه بعض قضايا التشريع واستكملت على لوح آخر فإن مجموع ما كتب على الألواح شكل ما يسمى كتاب النبي موسى. هذا إذا استبعدنا تماماً ما قالته التوراة عن أن عدد الألواح فقط لوحان.

ومع هذا الافتراض فإن رأياً آخر يقول لنا إن الألواح أو ما كتب فيها قد نُسخ، ولهذا قالوا فإن تفسير قوله تعالى (وفي نسختها) أي أن للألواح نسخة مكتوبة غير ما كتب على الألواح. ويبرز لنا رأي آخر يقول إن الكتاب غير الألواح تماماً إذ هو كتاب أنزل على النبي موسى ككتاب مدوّن.

وما يهمنا من الحديث عن الألواح أن الله سبحانه أنزل كتاب موسى عليه السلام عليه دفعة واحدة. والله أعلم كم عدد صفحاته وما حواه بالتفصيل، ولا ندري سوى أنه آتاه الله للنبي موسى ليهدي بني إسرائيل إلى طريق الحق في العقيدة والتشريع.

رأي في لغة كتاب موسى عليه السلام:

يقول اليهود إن ما أنزل على موسى عليه السلام. في الألواح كان قد كُتب باللغة العربية ويعتبرون هذه اللغة أشرف اللغات لأن الله أنزل الكتاب والتوراة بها.

والواقع أن هذا الكلام مرفوض علمياً وتاريخياً وآثارياً. أما لماذا هو مرفوض فإن ذلك لأسباب عديدة:

1 ـ لم يكن الحرف العبري موجوداً ولا اللغة العبرانية موجودة في زمن موسى عليه السلام.

2 ـ لم تكن لغة النبي موسى التي تحدث بها مع فرعون والمصريين سوى اللغة التي تعلمها في مصر ثم اختلطت بلغة أهل مدين العربية.

3 ـ يعتبر بنو إسرائيل من القبائل التي تحدثت لغة كنعان وهي اللغة التي كان يتكلم بها يعقوب وأولاده حين كانوا يخيمون ويرعون أغنامهم بالقرب من مدينة نابلس التي كانت تسمى شكيم.

4 ـ كان النبي موسى وحده الذي يعرف ماذا أنزل الله ولم يطلع بنو إسرائيل على كتابه ولا على ما أنزل عليه. إنما كان موسى يلقنهم التعاليم بلسانه وبلغتهم دون أن يعطيهم أي شيء مادي من التعاليم ليطلعوا عليه.

5 ـ بعد وفاة النبي موسى عليه السلام لم يعرف أحد أين اختفى كتابه. هل فعلاً ظل محفوظاً في تابوت العهد أم أن بني إسرائيل سرقوه وأخفوه حتى لا يظلوا مطالبين بتعاليمه وبتشريعه.

6 ـ تقول التوراة في آخر سفر التثنية: ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. فهذه هي شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل هذه شهادة شخص عاش بعده بعدة قرون وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى[1].

ويرى الفيلسوف سبينوزا أن سفر التثنية الحالي هو السفر الوحيد الذي يمكن نسبته إلى موسى عليه السلام لأنه قد احتوى على الشريعة التي شرحها النبي موسى. إلا أن ما أضيف عليها يأتي في آخر السفر، خاصة عندما يقول السفر (ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل) الخ وقد حوى هذا السفر وصايا خلقية

---

(1) باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت. نقلاً عن محمد الشرقاوي/ مقارنة أديان بحوث ودراسات ص78.

وآداباً شرعية لا ريب أن فيها بقية وحي وآثار نبوة لأنها من معدن التعاليم والآداب التي يدعو الأنبياء لها[1].

أما بالنسبة للاختلاط بين كتاب موسى والتوراة:

فنرى أن الكتاب غير التوراة، لقد آتى الله موسى الكتابَ وأنزل التوراة الحقيقية. والتوراة وهي التعاليم أنزلت على النبي موسى شفاهية من غير كتاب. إذ أن الله سبحانه بعد آن آتى موسى الكتاب ظل الوحي ينزل عليه ويعلمه ويوحي إليه من دون كتابة.

أما ما يقال من أن التوراة العبرانية المؤلفة من 39 سفراً هي كلام الله. فهذا مرفوض، لأن ما جاء في التوراة بعد الأسفار الخمسة الأولى ليست كتباً دينية وإنما هي أسفار تاريخية وأسفار شعرية ونسبت إلى أزمان متباعدة. سجلت تاريخ بني إسرائيل ومن لفالفهم منذ وفاة موسى وظهور يوشع بن نون إلى آخر الشخصيات التي ظهرت بعد النفي البابلي. ولا ننسى أن هذه التوراة العبرانية دوّنت في منتصف القرن السادس أيام وجود بني إسرائيل في بابل والفرق الزمني بين وجود موسى وتدوين التوراة لا يقل عن ستمائة إلى سبعمائة سنة.

لقد ورد ذكر كلمة التوراة في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعاً لم يقترن اسم التوراة فيها باسم النبي موسى. ولربما أنزلت التوراة على عدد من الأنبياء ومنهم موسى عليه السلام وقد ورد في التوراة أن التابوت حوى الوعاء الذي يخص المنّ وعصا موسى ولوحي العهد وكان عليهما وصايا الله العشر ثم وضع بجانبه كتاب التوراة، وهذا يعني أن اللوحين وما حوياهما من تعاليم هو غير التوراة.

ولكن لابد أن نتساءل متى أنزلت التوراة؟ الواقع أننا لابد أن نشير إلى أن التوراة وهي تعاليم واسعة قد تلقاها النبي موسى شفاهية وعلمها بني إسرائيل ولكنها لم تكن مكتوبة مثل الكتاب.

---

(1) المرجع السابق/ الشرقاوي/ مقارنة أديان بحوث ودراسات ص 78.

وقد تنبأ النبي موسى عليه السلام بأن بني إسرائيل سوف يزيغون عن طريقه ويحرفون كلام الله، وقد جاء في سفر التثنية ما يشير إلى ذلك، فقد جاء على لسان موسى في هذا السفر ما نصّه: «**وقال الرب لموسى هوذا أيامك قد قربت لكي تموت ادع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه فانطلق موسى ويشوع ووقفا في خيمة الاجتماع وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها فيما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه**» (تثنية 31: 14 ـ 16).

ويقول: فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: «**خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم يكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي. اجمعوا إليّ كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعكم بهذه الكلمات فأُشهد عليهم السماء والأرض لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به**» (تثنية 31: 24 ـ 29).

وحسب هذا النص يشار إلى أن موسى عليه السلام قبل أن يموت بأيام كتب لبني إسرائيل هذه التوراة حسب ما جاء في النص. وهذا يعني أن كتاب موسى عليه السلام الذي آتاه الله في سيناء وفي جبل الطور تحديداً سبق كتابة التوراة بثمانين سنة.

وهذا ما نصت عليه التوراة.

لكننا نؤمن بأن الله سبحانه أنزل التوراة الأصلية على سيدنا موسى والأنبياء شفاهية من خلال الوحي وليس من خلال الكتابة في كتابه.

موسى عليه السلام وقصة البقرة:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ

﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفْرَآءُ فَاقِعٞ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٞ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة: 67 ـ 73).

وقبل أن نتحدث عن القصة وأبعادها لابد أن نشير إلى بعض الأمور في هذه الآية:

1 ـ موسى عليه السلام يقول إن الله يأمركم، بينما هم يقولون ادع لنا ربك، ويكررونها ثلاث مرات، وكأن هناك فصلاً بين من يؤمن به النبي موسى ومن يؤمنون به، ويظهر أن العلاقة بين بني إسرائيل والله علاقة باهتة، أو هي علاقة هامشية. فرب موسى ليس لهم علاقة به ولو كان لهم علاقة به لقالوا ادعُ ربنا أو ادعُ إلهنا أو ادعُ الله. على العموم.

2 ـ وقوله تعالى وما كادوا يفعلون: دليل على أنهم ذبحوها وهم غير مقتنعين بكلام نبيهم.

3 ـ يظهر تماماً أنهم لا يعرفون لماذا أمرهم النبي موسى بذبح البقرة. ولكن الغاية منها أن يظهر مسألة أكبر من ذبح البقرة وهي كشف الجريمة التي حاولوا إخفاءها وإخفاء من فعلها.

أما القصة: فهي كما رواها ابن عباس وغيره. أن رجلاً من بني إسرائيل كان كثير المال وكان شيخاً كبيراً وله بنو أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه فعمد أحدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق، ويقال على باب رجل منهم. فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم، فقالوا: ما لكم تختصمون ولا تأتون نبي الله. فجاء ابن أخيه فشكا أمر عمه إلى النبي موسى عليه السلام فقال موسى أنشد الله رجلاً عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به، فلم يكن

عند أحد منهم علم منه وسألوه أن يسأل هذه القضية ربه عز وجل، فسأل ربـه عـز وجل في ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة قـالوا: أتتخـذنا هـزواً. يعنـون نحـن نسألك عن أمر هذا القتيل وأنت تقول هذا. قال المحدثون: لو أنهـم عمـدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم. ويقال إنهم لم يجدوا البقرة بتلك الصفات إلا عند رجل منهم كان بـاراً بأبيـه فطلبوهـا منـه فـأبى عليهم فأرغبوه في ثمنها. ثم ذبحوها. ثم أمرهم أن يضربوا ذلـك القتيـل ببعـضها. فلما ضربوه ببعضها أحياه الله فقام وهو يشخب عروقه التي في العنق فسأله نبـي الله موسى: من قتلك؟ قال قتلني ابن أخي، ثم عاد ميتاً. فبين لهم النبـي موسـى أن الله يحيي الموتى كما أحيا هذا الرجل وعليكم بالإيمان بالبعث وإحياء الموتى، لأنهم كانوا يشككون بإحياء الموتى، وكان إيمانهم ضعيفاً بذلك.

في سيناء عجائب ومعجزات وتمرد:

يورد القرآن الكريم العديد من الحوادث التي حدثت لبني إسرائيل في سـيناء ويتضح منها أنهم كانوا يطلبون من النبي موسى أموراً في غاية الغرابة:

1 ـ الطلب من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

2 ـ ظلّل عليهم الغمام من حر الشمس.

3 ـ أنزل عليهم المن والسلوى.

4 ـ العصا تضرب حجراً فينفجر اثنتي عشر عيناً من الماء العذب.

5 ـ عدم صبرهم على طعام واحد.

طلب بنو إسرائيل من موسى أن يروا الله جهرة. لأنهم في مصر تعودوا أن يـروا الآلهة الوثنية وقد مثلها المصريون ونصبوها في كل مكان، بل ألّهوا فرعون واعتقدوا أنه الإله أو ظلُّ الإله في الأرض لذلك طلبوا أن يتعرفوا على إله موسى لاعتقادهم أنه مثل آلهة المصريين وهذا دليل على عدم إيمانهم القطعي بالله الواحد الأحد، لـذلك أخـذتهم الصاعقة فماتوا الموت الأصغر وهو النوم لشدة الهول، ثم أحياهم الله.

وظلّل عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس في الصحراء فما ظلوا على عهده، ثـم طلبوا من النبي موسى أن يستبدلوا طعامهم فسخر مـنهم موسـى وغـضب غـضباً شديداً وقال لهم: اهبطوا إلى أرض مصر ستجدون ما تشتهون. وقوله دليل على أنهم تعوّدوا الذل والإذلال. وقد كتبت عليهم الذلة سبحان الله.

موسى عليه السلام والعبد الصالح

تبرز لنا قصة موسى والعبد الصالح في القـرآن الكـريم ولا نجـد لهـا أثـراً في كتاب التوراة وهي قصة عظيمة تعلم الإنسان مهما كانت منزلته أن يتـأدب أمـام الله ولا يدعي أنه عالم بكل شيء.

أجمع عدد من المفسرين على أن العبد الصالح هو الخضر عليه السلام، ويـدعي أهـل التوراة أن هذا العبد الصالح هو الخضر وأن الذي التقـاه غـير النبـي موسـى عليه السلام، وهو رجل يُدعى موسى بن ميشا بن يوسف بـن يعقـوب بـن إسـحق بـن إبـراهيم عليه السلام.

والصحيح ما دل عليه سياق القرآن ونص الحديث الصحيح عـن رسـول الله ﷺ من أن موسى هو نفسه النبي موسى بن عمران صاحب بني إسرائيل، وقـد ورد ذلك في صحيح البخاري. وقد كذبهم ابن عباس حيث قال (كذب عدو الله) ويعني الذي نقل رواية أن موسى هو غير النبي موسى عليه السلام.

وقد وردت قصة النبي عليه السلام والعبد الصالح في سـورة الكهـف دون غيرهـا. وجاءت الآيات مفصّلة للحدث.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ

عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (سورة الكهف: 60 ـ 82).

هذا ما ورد في كتاب الله من قصةٍ تدور أحداثها مع النبي موسى والعبد الصالح.

وهذا ملخص ما فهمنا من آيات الله:

وقف النبي موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل مذكراً إياهم بأيام الله بعبارات تثير وتبعث الشؤون (شؤون العين: مجاريها) ففاضت العيون ورقت القلوب. ولما انتهى من قوله تعلق بأهدابه رجل وقال: أي رسول الله هل في الأرض من هو أعلم منك؟ قال: لا. أليس هو كبير أنبياء بني إسرائيل وقاهر فرعون، أو ليس هو صاحب اليد والعصا. وبعصاه انفلق البحر. أليس الله قد شرّفه بالكتاب والتوراة وكلمه فأي غاية أبعد من هذه الغاية. وأي شرف أسمى من هذا الشرف؟

ولكن الله أوحى إليه أن العلم أعظم من أن يحويه رجل أو ينفرد به رسـول، وأن في الأرض من خصّه الله بعلم أوفر من علمه ونصيب من الإلهام أوفر من نصيبه. قال: يا رب أين مكانه. لعلي ألقاه. فأصيب قبساً من علمه أو فيضاً مـن إلهامـه ويقينـه قـال: تلقاه بمجمع البحرين. قال: اجعل لي عَلَماً يدلني عليه وآية ترشدني إليه. قال: آية ذلك أن تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدت الحوت فقد وجدت الرجل.

فأخذ موسى للأمر عدته واصطحب فتاه وحمله المكتل ووضع الحوت فيه كما أوحي إليه وظل سائراً وقبلته الرجل وأخذ على نفسه عهداً أنه سيظل مُجداً في السير ممعناً في الطلب حتى يبلغ هذا المكان ولو مضت عليه الأيام أو تعاقبت السنون ثـم آذن الفتى أن يخبره إذا فقد الحوت.

ولما بلغ مجمع البحرين في المكان الذي أراد الله أن يلتقي فيه نبي بني إسرائيـل بعبده الصالح أخذت موسى سِنة من النوم وفي أثنـاء نومـه أمطـرت السماء فابتـل الحوت وانتفض وسرت إليه الحياة ثم قفز إلى الماء.

واستيقظ موسى عليه السلام ونادى الفتى: هيـا نواصـل السير والسُّرى. وأنـسى الشيطان الفتى ما كان من أمر الحوت وتابعا السير إلى أن أدركهـما التعـب وأحـسّا بالجوع. فقال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.

ولما هم أن يأخذ الغداء من المكتل تذكر ما كان من أمر الحوت وذهابه في الماء فقال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة وحين غشاك النعاس فإن الحوت قد اتخـذ سـبيله إلى الماء ونسيت أن أذكرك وما أنساني إلا الشيطان.

وحينئذٍ لاحت لموسى شارة الظفر ووجد ريح الرجـل فقـال: ذلـك مـا كنـا نبغيه وننشده، هيا بنا نعدْ إلى هذا المكان فإننا سنصيب الغاية ورجعـا يتابعـان الأثـر ويتعرفان الطريق ولما وصلا إلى حيث فقد الحوت وجدا رجلاً نحيـل الجـسم غـائر العينين عليه دلائل النبوة وفي وجهه فيض من السماحة والتقوى وقـد سُـجّي بثوبـه وجعل طرحه تحت رجليه وطرفه الآخر تحت رأسه، فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه. وقال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى فقال: موسى نبي بني

إسرائيل؟ قال: نعم. ومن أعلمك بهذا؟ قال: الـذي بعثـك إلي. فعلـم موسـى أنـه ضالته التي ينشدها. فتلطف في القول وتجمل بأحسن ما وهبه الله من أدب الحـديث وفضل التواضع. وقال: هل تأذن أيها العبد الصالح لرجل جاهـد في سـبيل لقائـك ولقي العناء حتى أصاب موضعك أن تفيض عليه من علمك وأن تقبسه شـيئاً مـن هديك على أن أتبعك وأسير في ظلك وألتزم أمرك ونهيك.

قال له العبد الصالح: إنك لن تستطيع معي صبراً ولو أنـك صـحبتني فإنـك سترى ظواهر عجيبة وأموراً غريبة وسترى أموراً منكرة في ظاهرها وإن كانت حقـاً في باطنها ولكنك بما ركب الله في البشر من إلف القيل والقال والجنـوح إلى البحـث والجدال سوف لا تسكت عن الاعتراض ولا تتورع عن الامتعـاض وكيـف تـصبر على ما يخرج عن مألوفك ويتجاوز معروفك فقال لـه موسـى وكـان حريـصاً عـلى العلم تواقاً إلى المعرفة: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. قال الخـضر: إن صحبتني آخذ عليك عهداً وشرطاً أن تأخذ عدتك من الحزم والـصبر ونـصيبك من الجلد وضبط النفس فلا تبتدرني بسؤال ولا تثر أمامي أي اعتراض حتى ينقضي الشرط وتنتهي الرحلة وإني بعدها سآتي على ما في نفسك وأشفي ما بصدرك.

فقبل موسى الشرط وقيد نفسه بذلك العهد وسارا على الـساحل حتـى لمحـا سفينة في البحر فطلبا من أهلها حملهـما إلى حيـث يـذهبون ولمـا قـرؤوا الـسماحة في وجهيهما ورأوا بريق النبوة يلمع في عيونهما حملوهما على غير أجر وبالغوا في إكرامهما والحفاوة بهما.

وبينما هما في السفينة وعلى حين غفلة من أهلهـا أخـذ الخـضر لـوحين مـن خشب السفينة فخلعهما فهال موسى وهو الرسول الكـريم الـذي أرسـل لهدايـة الناس وردِّ عادية الظلم عنهم أن يقابـل صـنيعهم بالإسـاءة وجمـيلهم بـالنكران وخشي أن يصيبهم غرق أو هلاك فنسي عهده وشرطـه وصـاح: أتعمـد إلى قـوم أكرموا وفادتنا وأحسنوا لقاءنا فتخرق سفينتهم وتحاول إغراقهم لقد جئت شيئاً إمراً.

فالتفت الخضر إليه وما زاد على أن ذكره بشرطه وما قدره من قبل أنه سوف لا يصبر على سؤال ولا يسكت عن مراء وقال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا. وحينذاك أدرك موسى ما وقع فيه من خطأ وما تورط فيه من نسيان. فاعتذر إليه واستغفره من نسيانه وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا تحرمني شرف الصحبة وفضل المرافقة وسأكون بعد الآن كما شرطت. وغادرا السفينة وتابعا السير فوجدا غلاماً وضيئاً يلعب مع لداته وأقرانه فأخذه الخضر بعيداً ثم أضجعه وقتله ففزع موسى من هذا القتل وكبر عنده ذلك الإثم إذ رأى غلاماً يافعاً قد يكون وحيد أهله ورجاء والديه يقتل من غير قود ويسفك دمه من غير إثم على يدي رباني كريم وإمام من أئمة الدين فتحلل من عهده وأطلق نفسه من ميثاقه وقال: ما هذا المنكر الذي تأتيه والإثم الذي ترتكبه أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً. فالتفت إليه الخضر ولم يزد على أن ذكره بعهده وما كان من شرطه وما قدره مما سيكون من سؤاله عما لا يعرف وامتعاضه مما لا يألف قائلاً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا، وهنا استحيا وأدرك أنه قد أثقل على هذا العبد الصالح وكان خليقاً به أن يدرع بالصبر ويمسك لسانه عن الجدل حتى يفصح له بعد عما خفي من أمره وما تشابه عليه من علمه. وخشي إن تمادى أن يقع منه على موجدة أو كراهية. فاتخذ لنفسه شرطاً ألا يعجل بالسؤال بعد الآن وإلا فإن رفيقه في حل من مرافقته وقطع صحبته. وقال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً. وانطلقا على هذا الشرط حتى أدركهما الطوى ونال منهما النصب والكلال وصادفا قرية في طريقهما فدخلاها طمعاً في زاد يعينهما على السفر ويمسكهما على الجوع ولكن أهلها بما كانوا عليه من لؤم الأصل وبخل النفس أبوا أن يضيفوهما وردوهما رداً غير جميل فلم يجدا عندهم مأوى ولا طعاماً وخرجا جائعين ساخطين وقبل أن يجاوزا القرية وجدا جداراً يتداعى للسقوط فأقامه الخضر وأصلح من شأنه فقال: عجباً! أتجاري هؤلاء القوم اللؤماء الذين أساؤوا اللقاء بهذا الإحسان لو شئت لاتخذت على عملك هذا أجراً نسدّ به حاجتنا ونحفظ به على الحياة أنفسنا، قال

الخضر وقد آمن بأن موسى سوف لا يستطيع بعد الآن صبرا (هذا إفراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا.

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فيصيبون منها رزقاً يعينهم على الكسب ويقطعون به مغازة الحياة ولكن ملكاً ظالماً كان يتبع كل سفينة صالحة يأخذها من أهلها عنوة ويستولي عليها غصباً فأردت أن أعيبها رفقاً بهم ورحمة لهم حتى إذا شهدها الملك تركها لعيبها فهذا عمل إن كان ظاهره الفساد ففي باطنه رحمة وإن كنت قد حسبته نكراً فإنما هو حفظ للمساكين وإبقاء على حياة هؤلاء البائسين. وأما الغلام فكان وقّاحاً مبغضاً من الناس وكان أبواه مؤمنين وبما فطر الله الآباء على حب الأبناء والدفاع عنهم بالحق وبالباطل خشيت أن يحملهما هذا على التعصب له والميل إلى طريقته فينتهيا إلى الطغيان والكفر فقتلته حفظاً لدينهما ورجاءً من الله أن يرزقهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما، وأما الجدار فقد علمت من الله أن تحته كنزاً ليتيمين صغيرين تحدرا من رجل صالح كريم فأردت أن أحمي هذا الجدار حتى يشتد أزرهما ويقوى على الحياة أمرهما فيستخرجا كنزهما مالا حلالاً طيباً لهما. وما فعلت هذا بعلمي ولا برأيي ولكنه وحي من الله وهدى منه ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا.

بعد أن أوردنا قصة موسى عليه السلام مع الخضر أو العبد الصالح لابد لنا من وقفة مع بعض القضايا والمعطيات التي نستشفها من الآيات الكريمة:

1 ـ يستشف من القصة أن النبي موسى عليه السلام بعد أن راح يعلم بني إسرائيل التشريع ويطبق فيهم ما أمر الله به ظن أنه استفرد بالعلم وصار العالم الأوحد بعد أن تلقى الرسالة. وعندما نعود إلى جغرافية المكان نرى أن النبي موسى ظل مع بني إسرائيل بالقرب من جبل الطور أو طور سيناء الذي يقع في جنوبها.

ونحن نعلم أن الله أجرى لموسى عليه السلام المعجزات وهو عند فرعون. وفعلت عصاه بإذن الله المعجزة تلو الأخرى، ثم لما دخل سيناء مع بني إسرائيل تلقى الرسالة بعد ميقات ربه فظن أنه اكتمل وحاز من الله ما لم يستطع إنسان أن يحوزه.

وعندما أوحى له الله أن عبداً صالحاً من عباده الخاصين أعلم من موسى وقال له اذهب لتلاقيه عند مجمع البحرين. وكان النبي موسى هامّاً للقاء العبد الصالح ولو كلفه أن يمشي سنين طويلة.

2 ـ أما مجمع البحرين فقالوا هو بحر الروم ـ الأبيض المتوسط ـ وبحر القلزم ـ الأحمر ومجمعهما مكان التقائهما في منطقة البحرات المرة وبحيرة التمساح.

وهذا الرأي مرفوض لأنه لم يكن هناك جامع يجمع البحرين ولا كانت قناة السويس موجودة والمسافة بين المتوسط والأحمر أكثر من مائة وخمسين كيلومتراً. قبل شق قناة السويس.

والرأي الأرجح هو مجمع خليجي السويس والعقبة في زاوية سيناء الجنوبية الغربية ونعتقد أن اللقاء الذي تم بين النبي موسى والخضر عليهما السلام كان عند صخرة تقع على شاطئ البحر عند انقسام البحر الأحمر إلى خليج السويس وخليج العقبة.

ويدعم ذلك قوله الله سبحانه (ركبا في السفينة) فالسفينة تحتاج إلى بحر أو نهر وغَرقُ السفينة في البحر أقوى من غرقها في النهر لاحتمال ضحالة الماء في النهر ويدعم ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

أما كيف عادت الحياة إلى الموت فهناك عدة آراء أهمها أن شيئاً من ماء عين تسمى عين الحياة سقطت على الحوت. ولكن الأسلم أن الله سبحانه أجرى معجزة إحياء الحوت لكي تتم علامة اللقاء بين موسى عليه السلام والخضر أو العبد الصالح.

من هو فتى موسى: ذكر بعض المفسرين أن يوشع بن نون كان فتى موسى. وقد ذكرت التوراة ليشوع بن نون سفراً من التوراة العبرانية وهو السفر السادس وقد ورد في صحيح البخاري أن يوشع بن نون كان فتى موسى. وفي فتح الباري أن يوشع هو الذي قام في بني إسرائيل بعد موت موسى ونقل ابن العربي أنه كان ابن أخت موسى.

لكن هناك تناقضاً صارخاً في هذه الشخصية، ففي التوراة يأتي السفر السادس باسم سفر يشوع. وفي هذا السفر تجسّد التوراة كل أنواع الجرائم في شخصيته فهو يأمر بني إسرائيل بحروب الإبادة بحق أرض كنعان. وحسب النص التوراتي يقوم يشوع بأكثر من ثلاثين مجزرة دموية، في أريحا والخليل وضواحي القدس وغيرها من المناطق الداخلية في فلسطين.

وبغض النظر عما إذا كان ما ورد في التوراة من نسج خيال المؤلف أم غير ذلك، إلا أننا حين ندرس شخصية يشوع كما هي في التوراة. نرى رجلاً دموياً مجرماً لا يحلل ولا يحرم. وهذا لا يمكن أن يتجانس مع فتىً رافق موسى وأضاعه وتعلم منه الكثير من التربية النبوية.

فإما أن يكون فتى موسى يشوع المهذب التقي الذي يعرف الله وحدود الحرام والحلال ولا يكون هو نفسه من أجرى المذابح المتخيلة أو غيرها.

وإما أن يكون فتى موسى شخصاً آخر غير يشوع لأنه لا يمكن أن تكون هذه الشخصية هي نفسها في الحالتين.

وقد أورد بعض المفسرين أن يشوع كان نبياً غير مرسل. ونعتقد أن هذا من الأخطاء القاتلة التي وقع فيها هؤلاء. لأن يشوع لم يرد بنبوته شيء من القرآن. وأكثر ما اعتمدوا في ميلهم لنبوته هو من الإسرائيليات.

أما إذا عدنا إلى آيات سورة الكهف فإننا نتوقف عند عدة أمور.

إن ما ورد في سورة الكهف يؤكد الدروس التربوية العظيمة لمن يريد أن يتعلم، أو يتربى تربية دينية صحيحة، فهذا هو النبي موسى الذي قدم أعظم درس في التواضع والتربية النبوية العظيمة.

فهو كما يظهر له من ظاهر الأمور أن العبد الصالح أتى على أشياء تخالف الشرع فاحتج وهذا حقه لأنه أخذ بظاهر الشرع.

فموسى يحتج على قتل الغلام، فكيف تجيز التوراة أوامر موسى بالقتل وإبادة الشعوب إذا كان موسى قد احتج على قتل غلام واحد. فكيف تجيز التوراة لنفسها أن تنسب لموسى أوامر بقتل قبائل فيها الأطفال والنساء والشيوخ؟

إن نكران التوراة للقاء موسى بالعبد الصالح يأتي من خلال موقف سلبي تجاه القصة، فهم لا يريدون أن يقولوا إن موسى الذي بلغ ما بلغ عندهم يمكن أن يكون هذا حاله مع رجل آخر قد لا يكون نبياً. فهو عالم العلماء الذي لا يحتاج لعلم من غيره، ثم إن التوراتيين الذين يؤمنون بكل شيء محسوس ولا يؤمنون بما وراء ذلك ينكرون هذه القصة ومجريات الأحداث فيها؛ لأن فيها ما هو خلف المحسوس وذلك يخالف ما آمنوا به من ظاهر الأشياء.

وفي عالمنا وعقيدتنا أن الله سبحانه إذا أراد أن يكمّل نبوة نبي أدّبه واستمر برعايته حتى النهاية. وهذا ما نقوله لهؤلاء التوراتيين. إن موسى هو نفسه الذي أعلمنا الله بشخصيته وتاريخه وصراعه مع الباطل وتربيته النبوية العظيمة وليس موسى التوراتي الذي اتهموه بالكذب والقسوة والخداع والإجرام.

وهناك ملاحظات أخرى يجب أن نفهمها:

1 ـ إن النبي موسى والعبد الصالح ركبا السفينة قبل أن تجري في البحر ولم يغادرا الشاطئ.

2 ـ إن الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً. غير معروف لدينا. ونحن نخمّن أن هذا الملك كان ملكاً لمنطقة تقع في جنوب غرب سيناء أو أنه ملك على البر المصري الذي لا يبعد كثيراً عن منطقة لقاء موسى بالعبد الصالح.

3 ـ إن المنطقة التي جرت فيها الأحداث. السفينة. وقتل الغلام. والقرية كانت منطقة متقاربة وجميعها يقع في الجزء الجنوبي من سيناء.

4 ـ من الواضح أن سيدنا موسى عليه السلام بعد أن تركه العبد الصالح عاد إلى بني إسرائيل ليتابع مسيرة الدعوة والهداية وتثبيت التشريع في قلوب قومه ونفوسهم.

5 ـ إن فتى موسى انقطعت أخباره بمجرد أن التقى النبي موسى بالعبد الصالح حيث لم يظهر على ساحة الحدث. فالأحداث كانت مقتصرة على اثنين ولم يكن معهما ثالث ونعتقد أن فتى موسى لم يرافقهما. ولو رافقهما لأفسد عليهما الدرس إذ أن النبي موسى لم يحتمل ما رأى فكيف بفتاه أن يحتمل ما

جرى من أفعال قام بها العبد الصالح. من خرق للسفينة أو قتـل الغـلام. أو إقامة الجدار.

وقـد أوردت بعـض الكتـب والمـصادر أن موسـى طلـب أن يوصـيه العبـد الصالح، فوصاه بكثير من الوصايا العلمية والأدبيـة. ونحـن هنـا لا نحتـاج لهـذا لخروجه عن موضوع الدراسة.

الفصل الرابع

ما ينسب من تشريع للنبي موسى عليه السلام

دراسة تحليلية للأسفار الخمسة في التوراة

ما ينسب من تشريع للنبي موسى عليه السلام

يرى كثيرون من متديني اليهود أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة تنسب إلى موسى عليه السلام وقد أجرى العديد من الدارسين والباحثين على هذه الأسفار دراسات تحليلية تناولت شخصية موسى وتناسبها مع ما نُسب إليه وتاريخ تأليفها ولغتها وصلتها بتراث شعوب المنطقة وعقائدها.

وعقد بعض الدارسين العرب والمسلمين مقارنات بين ما ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم، وتناولوا التشريع التوراتي بالتحليل والنقد والتفنيد وغير ذلك.

وفي هذه الصفحات سنتناول بالدراسة التحليلية ما جاء في الأسفار الخمسة الأولى من التوراة باعتبارها ـ حسب أتباع اليهودية ـ أسفار موسى الخمسة ونتناول التشريع الذي طُرِح فيها ومدى ما توافق مع القرآن الكريم أو خالفه.

1 ـ نسبة الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام. لماذا وكيف؟

جاء في كثير من الدراسات اليهودية والمسيحية الغربية أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة بأنواعها الثلاثة: العبرانية، السامرية، اليونانية، هي أسفار موسى عليه السلام. وظل هذا سائداً في كثير من الأوساط اليهودية والمسيحية.

وقد تناول هذه الأسفار عدد كبير من العلماء والدارسين وتوصلوا إلى نتائج مهمة، قلبت العديد من المفاهيم المتداولة والمسلّم بها. وحين نضع هذه الأسفار تحت الضوء والفحص نرى فعلاً أن نسبتها إلى النبي موسى ليس أمراً صحيحاً لأسباب عديدة. وقد تكون بعض التشريعات المبثوثة في سفر التثنية ترتبط بتشريع نبوي موسوي، ولكن هذا لا يعني قطعاً أن هذه الأسفار هي ما أوحى الله لموسى وحياً أو حتى كتابة أو غير ذلك.

وقبل أن نأخذ بالتحليل التفصيلي لهذه الأسفار لابد أن نذكر أن الذين أجمعوا على عدم صحة نسبتها إلى النبي موسى هم من الدارسين اليهود والغربيين المتخصصين بعلم اللاهوت والتاريخ والفلسفة.

وقد طرح جميع الباحثين السؤال التالي: هل حقاً أن موسى عليه السلام هو من كتب الأسفار الخمسة من التوراة؟ أو بصيغة أخرى: هل كانت هذه الأسفار هي ما أنـزل على النبي موسى ونسخها وصارت كالشكل الذي نعرفه؟

كيف ذلك والسفر الأخير وهو سفر التثنيـة يتحـدث بالتفـصيل عـن مـوت النبي موسى.

ولمـاذا وردت أسـماء في التـوراة لأمـاكن كثـيرة في سـيناء وفلـسطين لم تكـن موجودة أساساً في زمن النبي موسى. لقد أقر الدارسـون أن الأسـفار الخمـسة قـد كُتبت ووسعت وزُيّنت لاحقاً من قبل محررين مجهولين ومـراجعين متعـددين عـلى مدى عدة قرون.

وقد أقر العلماء منذ القرن التاسع عشر أن قراءة حذرة لسفر التكوين على سـبيل المثال تكشف عن نسختين متعارضتين لقصة الخلق 1/ 2 ـ 2 ـ 3 و2/ 4 ـ 25. فهنـاك سلسلتا نسبٍ مختلفتان جداً لنسل آدم وهناك قصتان للطوفان منفـصلتان ثـم مرتبتـان ثانية مع بعضهما. بالإضافة إلى أن هناك العشرات من نماذج التكرار المضاعف.

ولعل أكثر من فتح الآفـاق حـول دراسـة الأسـفار الخمـسة المنـسوبة للنبـي موسى عليه السلام هو ابن حزم الأندلسي الذي ألف كتابه الضخم في الأديان (الفـصل في الملل والأهواء والنحل) أما بالنسبة للعلماء اليهود القدامى فقد برز منهم ابـن عـزرا وهو حبر يهودي غرناطي يُدعى إبراهيم بن عزرا وقـد ولـد سـنة 1092 وتُـوفي في غرناطة سنة 562هـ 1167م.

ومن علمائهم الحبر اليهودي المغـربي الفـاسي سـليمان بـن مـيلخ الـذي نـشر تفسيره للعهد القديم سنة 961م ـ 1554هـ في القـسطنطينية، ومـنهم أيـضاً يهـود اهتدوا إلى الإسلام. أمثال الحسن بن أيوب قبل القرن الرابع والـسموأل بـن يحيـى المغربي سنة 570هـ والحسن بن سعيد الإسكندراني وابن قوسين اليهودي.

وقد أثر ابن حزم بالفيلسوف باروخ سبينوزا الذي يعتـبر أهـم مـن كتـب في دراسة التوراة وقد شرح سبينوزا الفكر النقدي للحبر ابن عزرا الآنف الذكر.

ويلخص سبينوزا كلام ابن عزرا في ثلاث نقاط:

1 ـ أن النبي موسى عليه السلام لم يكتب هذه الأسفار التي يطلق عليها التوراة.

2 ـ أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جداً.

3 ـ أن موسى كتب سفراً مختلفاً عن هذه الأسفار الخمسة المعروفة.

ومن خلال استنتاجه يرى:

1 ـ أن موسى عليه السلام لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالي التي جاء فيها: (فيما وراء نهر الأردن ابتدأ موسى بشرح هذه الشريعة)، وذلك لسبب واضح جداً هو أن موسى عليه السلام لم يعبر نهر الأردن ومات في البرية كما جاء في آخر سفر التثنية نفسه.

2 ـ لقد نُقش سفر موسى الأصلي كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد. يتكون من اثنتي عشرة حجرة حسب عدد الأحبار، ومعنى ذلك أن سفر موسى الأصلي كان في حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة المتداولة وهذا ما رمز إليه ابن عزرا بقوله (سر الاثنتي عشرة).

3 ـ يذكر الحبر كذلك أنه قد ورد في سفر التثنية: (وقد كتب موسى هذه التوراة). ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك بل لابد من أن يكون قائلها كاتباً آخر يروي أقوال موسى وأعماله.

4 ـ يروي ابن عزرا نصاً من سفر التكوين يقص فيه الراوي (يقصد سبينوزا بالراوي جامع الأسفار الحالية من مرويات تاريخية ومصادر مختلفة) رحلة إبراهيم عليه السلام في بلاد الكنعانيين ويعلق عليها الراوي (مؤلف التوراة الحالية) والكنعانيون حينئذٍ في الأرض.

5 ـ ذكر الحبر ابن عزرا أنه جاء في سفر التكوين: أن جبل موريا سمي جبل الله. ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء المعبد الذي سمي الهيكل. وهذه التسمية متأخرة جداً عن زمان النبي موسى عليه السلام.

أما ما توصل إليه الفيلسوف سبينوزا في دراسته لهذه الأسفار فهو:

1 ـ أن الأسفار الخمسة لا تتحدث عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما تعطي عنه شهادات عديدة لا يصح البتة أن يكون هو الذي أعطاها عن نفسه ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها وهذه الشهادات مثل:

تحدث الله مع موسى، وكان الله مع موسى وجهاً لوجه، وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس، فسخط موسى على وكلاء الجيش، موسى رجل الله، لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل.

والأكثر من ذلك تتحدث التوراة أن موسى فاق جميع الأنبياء الذين جاؤوا بعده، أي داود وسليمان وهذا يدل على أن الذي كتب التوراة جاء بعد داود وسليمان فأين هذا مما ينسب إلى موسى أنه صاحب هذه الأسفار.

إضافة لذلك فإن بعض الأماكن أطلق عليها أسماء عبرانية وأقحمت على روايات من زمن إبراهيم مثل كلمة دان وكان اسمها سابقاً لاييش.

ويتحدث سفر التكوين عن ملوك حكموا الأدوميين زمن داود بعد موسى بزمن طويل، وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل.

وبشكل عام فإن ما توصل إليه العلماء يشكل إجماعاً منهم أن الأسفار الخمسة ليست تأليفاً فردياً واحداً بل تجميع وترقيع لمصادر مختلفة، كل منها كُتب تحت ظروف تاريخية مختلفة لإبداء وجهات نظر دينية أو سياسية مختلفة.

التشريع الموسوي والتشريع التوراتي

لقد صار من المؤكد أن التوراة بكل أصنافها العبرانية والسامرية واليونانية هي كتب مؤلفة باعتراف كافة العلماء الغربيين واليهود وغيرهم.

وحين ننظر في التشريع الذي ورد في التوراة نرى أموراً عديدة لا تتوافق مع منهج النبوة بالشكل العام ولا منهج النبي موسى بشكل خاص. وطالما أن التوراة العبرانية تُنسب إلى عزرا وعدد آخر من المؤلفين، فلابد أن تكون الكتابة انعكاساً

للظروف العقلية والنفسية والاجتماعية التي عاشها عزرا وعاشها اليهود المنفيون في أرض العراق. ونعتقد أن التشريعات التي وردت في سفر الخروج وسفر التثنية جاءت انعكاساً لتلك الظروف وليست هي تشريعات سماوية كتبها الله على بني إسرائيل.

وتقع الإشكالات التشريعية في قوانين الحرب والإبادة والقتل غير المشروع، ثم الدفع باتجاه الغزو وتخريب البلاد والعباد، والتشريعات التي تخص الحياة الداخلية لليهود كالمأكل والمشرب والحلال والحرام والطهارة والنجاسة والذبح وما شابه ذلك.

وعلينا أن نلاحظ أن التشريعات التي وردت في التوراة وهي مشكوك في نسبتها إلى النبي موسى لم يتقيد بها اليهود بل اخترعوا تشريعات أخرى تناسب أوضاعهم ونفسيتهم التي صاروا عليها بعد مئات السنين.

العبادات بين التشريع الموسوي والمستحدث من التشريع اليهودي:

تنقسم العبادات إلى صلاة وصوم وأعياد عند اليهود. وقد وردت بعض الإشارات لصلوات كان يقوم بها النبي موسى، ويقول فيها بعض الكلمات كما نصت عليه التوراة وقد جاء في كتاب السموأل بن يحيى المغربي:

نقول لهم: ما تقولون في صلواتكم وأصوامكم؟ هل هي التي فارقكم موسى عليه؟ فإن قالوا نعم. قلنا فهل كان موسى وأمّته يقولون في صلواتهم كما تقولون؟ (اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا واقبضنا جميعاً من أفكار الأرض إلى قدسك، سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل) أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما يقولون في كل يوم: (اردد حكامنا الأولين ومشيرينا كالابتداء وابن يروشليم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا ببنائها سبحانك يا باني يروشليم) أم هذه فصول لفقتموها بعد زوال الدولة؟

فتغيُّر الكلام الذي طرأ في صلاة اليهود وقع بعد النفي البابلي في منتصف القرن السادس قبل الميلاد. ودليل السموأل هنا واضح على التحريف والنسخ. فالقول الأول عبارة عن دعاء يهودي قيل في صلواتهم أيام النفي. ومضمونه الطلب

من الله سبحانه أن يعتقهم من الأسر والعبودية ويجمعهم بعد أن شتتهم البابليون. ويدعون ربهم أن يعيدهم مجتمعين في القدس.

أما النص الذي أورده السموأل بأنه منسوب إلى النبي موسى عليه السلام ويقوله اليهود في صلواتهم. فالواقع أن النبي موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة ولم يدخل القدس وهذا ما جاء في التوراة العبرانية كما جاء في القرآن الكريم، وقول السموأل (كانوا يقولون على عهد موسى) الخ.. فيه خطأ كبير لأن النص يشير إلى أن الرب هو باني أورشاليم القدس ويقصدون القدس يهودية السكان. والواقع لو حمّلنا النص معنىً آخر لقلنا أن النص عبارة عن دعاء وأمنية كي تصبح القدس لهم. والمدقق في أسفار التوراة لا يرى أي رابط بين القدس والتقديس الإلهي. والحقيقة أن الله توفى موسى قبل أن يتسرب بنو إسرائيل إلى فلسطين، وتقول التوراة في ذلك: (**ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم**) سفر التثنية 34: 4 ـ 6. أما ما يُرى اليوم من صلوات يهودية بجانب حائط البراق الذي يزعمون أنه حائط المبكى فلا يمت بأي صلة للصلاة التي كان يؤديها موسى وجماعته، فهي صلوات مستحدثة فيها من الحركات ما هو مثير للدهشة من هز الرأس والقسم الأعلى من الجسم وهذه مخترعات اخترعها حاخاماتهم ولم يكن يعرفها موسى عليه السلام.

ومن التشريعات التي لم تكن في زمن النبي موسى عليه السلام واستحدثها كهنتهم ما يسمى صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كذليا. وقد جعله اليهود فرضاً، ويقول السموأل في ذلك:

هل كان موسى يصومها أو أمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون. أو صلب هامان؟ هل هذه الأمور مفترضة بالتوراة أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في هذه العصور؟ فإن قالوا وكيف يلزمنا النسخ بهذا الأمر قلنا لأن التوراة نطقت بهذه الآية: (**لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد نسختم تلك الآية**).

وقد صام النبي موسى أربعين يوماً على جبل سيناء وذلك لاستقبال كلمات الله تعالى. ولم يرد الصوم لفظاً في أسفار موسى المنسوبة له ولكنْ كان يوم واحد للصوم هو يوم الكفارة. وفي أيام النبي زكريا كانت أصوام كثيرة مفروضة في الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر تذكاراً لحصار القدس في الشهر العاشر وسقوطها في الشهر الرابع وخراب المعبد في الشهر الخامس. ومقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه في الشهر السابع.

وفي بعض مسائل الطهارة. حوّلوا ما كان في زمن النبي موسى من تشريعات تخص الطهارة وقد ورد ذلك في ما ناقشهم به السموأل بين يحيى المغربي فقال:

تقول لهم أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام. فإن قالوا نعم قلنا لهم أليس في التوراة أن من مسّ عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة في حالٍ لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها فلا يمكنكم مخالفة ذلك لأنه نص ما يتداولونه فيقول لهم فهل أنتم اليوم على ذلك فيقولون لا نقدر عليه. فنقول لهم فلم جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة وحمل المصحف والذي في كتابكم بخلافه. فإن قالوا لأنا عدمنا أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام والمطهر المستغفر. قلنا فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله ممّا تستغنون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا نعم قد نستغني عنه. فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة لحالٍ اقتضاها هذا الزمان وإن قالوا لا لا يُستغنى في الطهارة عن ذلك الطهور. فقد أقروا بأنهم الأنجاس أبداً ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة. فنقول لهم: فإذا كنتم أنجاساً على رأيكم وأصولكم فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزالاً تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبُه ثوب امرأة لاستنجستموه مع ثوبه فإن قالوا لأن ذلك من أحكام التوراة. قلنا أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم والنجاسة التي أنتم فيها هي على معتقدكم لا ترفع بالغسل كنجاسة الحيض. فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا

كانت من غير ملتكم ولا تستنجسون لامسَها ولا الثوب الذي يلمسه. وتخصيص هذا الأمر بطائفتكم مما ليس في التوراة. فهذا كله منكم نسخ أو تبديل.

ما نُسب إلى النبي موسى في الأسفار الخمسة الأولى

يقر جميع اليهود بأن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة هي أسفار النبي موسى عليه السلام. ويرون أن الله أوحى بها لموسى وهو على جبل حوريب أي طور سيناء. ويخلطون بينها وبين ما حوته الألواح، وبعضهم يرى أن ما كتب على الألواح هو نفسه ما جاء في هذه الأسفار الخمسة.

وحين نطالع هذه الأسفار سفراً سفراً نرى عشرات الأمور المتناقضة مع منهج النبوة من ناحية والمتناقضة مع القرآن من ناحية ثانية والمتناقضة مع نفسها من ناحية ثالثة.

وهنا لابد أن نبحث أولاً في نسبة هذه الأسفار للنبي موسى وهي أبعد ما تكون من الذي أنزل عليه.

فالقرآن يخبرنا أن كتاب موسى عليه السلام فيه هدى ونور وأن التوراة أيضاً فيها هدى ونور فهل كانت الأسفار الخمسة هدى ونور؟ هل هي متوافقة مع الهدي النبوي الذي جاء به موسى عليه السلام؟

سفر التكوين: حينما نطالع السفر الأول وهو سفر التكوين لا نرى أية إشارة للنبي موسى عليه السلام، فهذا السفر الذي يقع في خمسين إصحاحاً لا يمت بصلة إلى النبي موسى ولا توجد أية إشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى أن الله سبحانه نزّله على النبي موسى عليه السلام. ولم يأت السفر على ذكر النبي موسى في أي صفحة من صفحاته، يقول رحمة الله الهندي: وهذا الأمر لا يظهر من موضوع من موضوعات التوراة بل تشهد عبارته أن كاتبه غير موسى وهذا الـ(غير) جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود. ميّز بين هذه الأقوال بأن ما كان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجه تحت قال الله أو قال موسى وعبر عن موسى في

جميع الموضوعات بصيغة الغائب ولو كانت التوراة من تصنيفه لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولا أقل من أن يعبر في موضع من المواضع، لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقم على خلافه دليل قوي ومن ادعى خلاف ذلك الظاهر فعليه البيان[1].

ويقول الهندي: لا يقدر أحد أن يدعي بالنسبة إلى بعض الفقرات وبعض الأبواب أنها من كلام موسى. بل إن بعض الفقرات تدل دلالة بينة أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل داود عليه السلام بل يكون إما معاصراً له أو بعده.

ويدعي بعض علماء اليهود أن عزرا كتب التوراة بالإلهام. بمعنى أن الله ألهمه التوراة وهذا يعني أن كتاب موسى وتوراته بعد أن انعدما كتبه عزرا بالإلهام مرة أخرى والواقع أن عزرا لم يعد إلى كتاب موسى ولو شفاهية عندما دوّن توراته. ولو كان ما كتبه عزرا إلهاماً لما وجدنا اختلافاً واضحاً بين نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية.

ويقول السامريون: إن عزرا هو الذي كتب هذه التوراة وأنه حرّف كلام الله وغيّر وبدل عمداً بمحض إرادته. ولم تكن التوراة ضائعة فكتبها بل استبدل الحق بالباطل. ويقول أبو الفتح ابن أبي الحسن السامري في تاريخه. إن الفرس لما سمحوا لليهود بالعودة إلى فلسطين طلبوا منهم أن يتّحدوا تحت رئاسة واحدة وتكون لهم عاصمة واحدة ليسهل التعامل معهم فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في نابلس وهو القبلة، وأصر بنو مملكة يهوذا أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في القدس، واشتد العداء بينهم من أجل ذلك فغيّر فريق القدس التوراة التي عنده لصالحه وخالفوا الخط العبري. ويقول: إن تحريف التوراة قد تم على يد اليهود العبرانيين بعدما منع السامريون العبريين من بنائهم الهيكل بوساطة ملك فارس بعد الرجوع من سبي بابل مباشرة.

---

(1) رحمة الله الهندي/ إظهار الحق.

ومن كبار فقهاء اليهود الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي الذي يرى أن اليهود حرقوا شريعة موسى عليه السلام. ويقول في ذلك: نرى أن أعمدة هذه الشريعة الموسوية وأركانها التي كانت مستندة إليها وفيها قوامها واستيلاؤها قد انهدمت بالكلية وانعدمت مثل إبادة الملك والرئاسة وعدم وجود الأنبياء وإبطال الكهنوت وخراب الهيكل وهدم المذبح واندثار الذبائح ومحق الأسباط وما يتعلق بهم، لأن هذه الأعمدة والأركان كان قد ربط بها الله سبحانه وتعالى جميع ما يلزم من القضايا الدينية المشروعة في التوراة حتى الأحكام المدنية أيضاً.

فإذا انعدمت هذه اللوازم الركينة وبطلت كما هو مشاهد الآن نستدل من انعدامها على بطلان الديانة جميعها بحيث تعلق الديانة بها.

ويرى هذا الحبر أن الله لم يتكفل بحفظ التوراة كما تكفل بحفظ القرآن. ويظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد استخدمها إلى أزمنة معلومة محدودة غير راض لخلودها لا بل إنه راض بانقضائها وتبديلها، لأنه لو كان قصد الله خلود هذه الشريعة الموسوية وحفظها ودوامها لما كان هو ذاته سبحانه ربطها في كذا قضايا تنظر إبادتها وإعدامها عياناً ظاهراً في كل حين وآن عند العالم والغبي والعاقل والجاهل والشيخ والشاب، وجميعهم بالسواء قد ينظرون بأنها قد أعدمت وبطلت ومضى على بطلانها مئات كثيرة من السنين وكل عاقل يرغب ثواب الآخرة قد يستدل على الانتقال منها إلى شريعة نبينا محمد المصطفى ﷺ هو أمر ضروري ولازم.

ويرى هذا الحبر أن الذي ألجأ الأحبار والحاخامات اليهود إلى صنع تشريع جديد يختلف عن تشريعات التوراة كون ترك اليهود لليهودية والعزوف عنها إلى ديانة أخرى.

فيقول في ذلك: وإذ رأى الأحبار والحاخامات الكثير من جماعتهم اليهود الموجودين في تلك العصور تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين (محمد

وعيسى) عليهما الصلاة والسلام. وما بقي عندهم إلا قليل من الناس كما هو مشاهد. فقد شرعوا في عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين الشهادة الواردة في التوراة بحقها. واخترعوا آراء مستحدثة قد رأوا أن يبقوا الباقين في دينهم إلى الآن. ومع ذلك لما كنت أتردد عندكم (أي عند اليهود) كنت أرى أن بعضاً منكم مذبذبون ومنقسمة آراؤهم في الكثير مما ذكرته وهم من الأناس العقلاء وبعض منهم عارفون الحق ولكنهم مربوطون في وظائفهم الدينية والأحوال والأولاد والعيال وبعضهم مغفلون غير مبالين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التي يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم بلا محالة بحيث لا يمكنهم عمل الوصايا المربوطة على من لم يعملها هذه اللعنات. ويخلص هذا الحبر إلى نتيجة مهمة مفادها أن الله الذي أنزل أحكام التوراة قادر على هدمها وهذه إشارة إلى نسخ التوراة بنزول القرآن الكريم[1].

أما الباحث م. ريجسكي الذي ترجم آراءه الدكتور آحو يوسف من الروسية إلى العربية يقول: إن محرري التوراة المتأخرين الذين جمعوا قائمة الكتابات المقدسة بذلوا جهدهم لكي يختاروا من مجمل الأدبيات النبوية فقط تلك النبوءات التي كان مضمونها وأفكارها تنسجم على أكمل وجه مع المشروع الديني الذي كان قد تكرس عندئذٍ، ثم عُدت تلك المؤلفات وحدها نبوءات حقيقية وكتابات مقدسة. أما البقية فقد طواها النسيان، والمحررون والنسّاخ المتأخرون كانوا يحشرون في مؤلفات نبي قديم بلا استحياء يُذكر مقاطع يرونها مناسبة من تأليف مؤلف آخر عاش بعد ذلك النبي بزمن طويل.

ويتساءل ريجسكي عن مصير الكتاب الذي عثر عليه حلقيا الكاهن زمن الملك يوشيا عام 622 ق م فيقول: ما الذي جرى لهذا الكتاب فيما بعد؟ من المستبعد تماماً أن يكون الكاهن الأول حلقيا (بعد أن تم استخدام سفر الشريعة

(1) الرسالة السبيعية في إبطال الديانة اليهودية ملحق على كتاب غاية المقصود للسموأل بن يحيى المغربي.

الذي عثر عليه استخداماً بالغ النجاح) قد سمح لهذا السفر أن يبقى في نسخة واحدة مجهولة يغطيها الغبار على رف المكتبة داخل المعبد ويقول: في أي مكان من العهد القديم يحتمل أكثر أن نعثر على سفر الشريعة. واضح أنه في ذلك الجزء الذي حصل فيما بعد على تسميته تورا ـ القانون لم يكن في الحقيقة كتاب موسى وقد قيل عن الكتاب الذي عثر عليه حلقيا أنه أعطي بيد موسى، وهذا يعني أنه كان يمكن أن يصبح أحد الكتب الخمسة (الأسفار الخمسة) أو جزءاً من أحد تلك الكتب. إنه يعبر بشكل واضح خصوصاً عن الأفكار التي تم تجسيدها في إصلاحات يوشيا الملك إنه كتاب التثنية حيث يتم التعبير بإلحاح عن المطالبة بعدِّهِ يهوه إلهاً وحيداً لإسرائيل وباجتثاث عبادة كل الآلهة الأخرى.

وهذا يعني أن سفر التثنية ليس كله لموسى إنما أدخل الكاهن حلقيا بعض توجيهاته التي أراد من ورائها أن يقوم الملك يوشيا بدور مهم بإعادة الاعتبار لعبادة يهوه وإبعاد الآلهات الصنمية التي عبدها بنو إسرائيل ونسبها إلى موسى كي يقدسها القوم ولا يرفضوها. فلو أن حلقيا أعلن أنه مؤلفها فإنهم يرفضونها أما إذا ادّعى أنها لموسى فإنهم ينصاعون لها.

وقد رفض اللاهوتي ابن عزرا وهو من القرن الثاني عشر وكذلك الفيلسوف اليهودي سبينوزا من القرن السابع عشر وكذلك فولتير رفضوا جميعاً وبحزم فكرة أن يكون مؤلف الكتاب الذي عثر عليه حلقيا هو موسى.

وقد برهن العالم الألماني دي فيتيه من بداية القرن التاسع عشر بالدليل القاطع أن كتاب التثنية ما كان بوسعه أن يظهر في زمن موسى أي في القرن الخامس عشر ق.م فالقوانين والأحكام المدوّنة في الكتاب تعني شعباً يعيش حياة حضرية مرتبة ويشتغل بالزراعة كما يملك مدناً كبيرة ونظاماً سياسياً جيد التطور. وكل هذه الأشياء لم تكن موجودة زمن موسى إذ كان في الصحراء وجماعته جماعة منقطعة عن كل شيء زراعي أو حضري.

ويفهم من ذلك أن ما كتب في سفر التثنية لا يتناسب مطلقاً مع واقع الحياة البدوية الخشنة التي كان يعيشها بنو إسرائيل في سيناء. وهذا ينسف مقولة نسب سفر التثنية للنبي موسى ﷺ.

وبالنسبة لكتاب سفر الشريعة الذي عثر عليه حلقيا، وادعى الملك يوشيا أنه كتاب موسى ﷺ فيقول العالم الألماني دي فيتيه: (فيما يخص حكاية اللقية فإننا لا نستطيع معرفة وزمن وكيفية مجيء هذا الكتاب إلى معبد القدس. وليست مستبعدة إمكانية أن يكون الكاهن حلقيا هو الذي جاء به: إن طريقة ظهور الكتاب شبيهة جداً بإجراء مدبر شارك فيه عدا حلقيا وشافان والنبية خلدة)[1].

ويقول ريجسكي: إن أكثر الدارسين للتوراة حتى اللاهوتيين منهم مضطرون للاعتراف بأن كتاب التثنية أو بتعبير أدق ذلك الجزء من كتاب التثنية الذي عثر عليه حلقيا في تلك السنوات أيام حكم يوشيا تم اختلاقه والادعاء بأنه مخطوطة قديمة[2].

ثم يتساءل ريجسكي قائلاً: لماذا وكيف كان النسيان والضياع في معبد القدس هما مصير الكتاب الذي كتب بيد موسى؟

ويرى ريجسكي أن المقطع الذي ورد في سفر التثنية الإصحاح 31: 24 ـ 27 هو من تأليف حلقيا كي يسوّغ عدم ضياع كتاب موسى أو كي يسوّغ مشروعية وجوده والمقطع يقول: (فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت العهد ليهوه قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد يهوه إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون يهوه فكم بالحري بعد موتي).

---

(1) ريجسكي/ أنبياء التوراة/ ص 144 ترجمة: آحو يوسف.

(2) المرجع السابق ص 145.

ويعلق ريجسكي قائلاً: إن سخافة هذا التفسير واضحة تماماً للقارئ المعاصر. لماذا كان يجب إخفاء الكتاب ـ الشهادة ـ بطريقة جعلت من غير الممكن العثور عليه خلال عدة قرون. ويختم قوله في هذه النقطة لكن هذا المقطع من كتاب التثنية يصبح مفهوماً جداً إذا ربطناه بقصة اللقية عند حلقيا. لقد استخدم مجبر الإصلاح عام 622 طريقة معروفة من قبل، حيث تم نسب الكتاب الذي كتبوه إلى نبي قديم هو موسى، الذي كان التقليد الشعبي يرى فيه ليس مجرد شخص خلّص الأجداد من نير الفراعنة المصريين بل مؤسس ديانة يهوه.

ويرى ريجسكي: أن عزرا كرر ما كان قد فعله قبل قرنين الملك يوشيا والكاهن حلقيا. أي إن عزرا ونحميا حصلا على اعتراف رسمي بأن الكتاب الذي جلبه عزرا هو قانون أوصى به يهوه ذاته لموسى[1].

أما في التشريع فإن ما كان على زمن النبي موسى ﷺ غُيّر وبُدل وحرف. ومن ذلك الكثير.

يقول السموأل: نقول لهم: أنتم اليوم على ملة موسى ﷺ فإن قالوا نعم قلنا لهم أليس في التوراة أن من مسّ عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة في حال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها فلا يمكنهم مخالفة ذلك لأنه نص ما يتداولونه. فيقول لهم فهل أنتم اليوم على ذلك؟ فيقول لا نقدر عليه. فنقول لهم فلمَ جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة وحمل المصحف (التوراة) والذي في كتابكم بخلافه. فإن قالوا لأنا عدمنا أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام والمطهّر المستغفر. قلنا فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله مما تستغنون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا نعم قد نستغني عنه، فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها هذا الزمان وإن قالوا لا.. لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور. فقد أقروا بأنهم

(1) ريجسكي/ أنبياء التوراة ص 146 ـ مرجع سبق ذكره.

الأنجاس أبداً ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة. فنقول لهم: فإذا كنتم أنجاساً على رأيكم وأصولكم فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزالاً تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبُه ثوب امرأة لاستنجستموه مع ثوبه. فإن قالوا لأن ذلك من أحكام التوراة. قلنا أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة. فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم والنجاسة التي أنتم فيها هي على معتقدكم لا ترفع بالغسل كنجاسة الحيض فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا كانت من غير ملتكم ولا تستنجسون لامِسَها ولا الثوب الذي يلمسه. وتخصيص هذا الأمر، أعني نجاسة الحيض بطائفتكم مما ليس في التوراة. فهذا كله منكم نسخ أو تبديل فإن قالوا إن هذا وإنْ كان النص غير ناطق به فقد جاء في الفقه. قلنا فما تقولون في فقهائكم. هل الذي اختلفوا من مسائل الخلاف والمذهب بعينه فهم يقولون إن جميع ما في كتب فقهنا نقله الفقهاء عن الأحبار عن الثقات من السلف عن يوشع بن نون عن موسى الكليم عليه السلام عن الله تعالى فيلزمكم في هذا أن المسألة الواحدة التي اختلف فيها اثنان من فقهائكم يكون كل واحد منهما ينقل مذهبه فيها نقلاً مسنداً إلى الله عز وجل. وفي ذلك من الشناعة اللازمة لهم أن يجعلوا اللهَ قد أمر في تلك المسألة بشيء وخلافه وهو النسخ الذي يدفعونه بعينه[1].

(ما جاء في الأسفار الخمسة يناقض كلياً منهج النبوة)

لا شك أن منهج النبوة منهج رباني أراده الله سبحانه لجميع أنبيائه الذين بُعثوا هداية للناس. وإذا تفحصنا الأسفار الخمسة الأولى من التوراة العبرانية واليونانية وكذلك التوراة السامرية التي لا تؤمن إلا بهذه الأسفار وجدنا عشرات القضايا التي تناقض منهج نبوة النبي موسى عليه السلام، كما تناقض منهج النبوة عند كافة الأنبياء.

(1) السموأل بن يحيى المغربي/ غاية المقصود في الرد على اليهود، ص 12.

ويمكن لنا أن نلاحظ الأمور التالية في هذه الأسفار الخمسة وهي تناقض كلياً منهج نبوة النبي موسى عليه السلام.

1 ـ التجسيم والتشبيه وإلصاق الصفات البشرية بذات الله سبحانه.

2 ـ افتقاد عقيدة التوحيد.

3 ـ أثر العقائد الوثنية في يهودية الأسفار الخمسة.

4 ـ افتقاد الإيمان بنبوة الأنبياء السابقين.

5 ـ افتقاد الإيمان باليوم الآخر.

6 ـ طغيان الحسّ العنصري.

7 ـ وجود الخرافات والأساطير المخالفة لمنطق النبوة ومنهجها.

الذات الإلهية بين عقيدة موسى والأسفار الخمسة

تتضح عقيدة التوحيد لدى النبي موسى عليه السلام في آيات القرآن الكريم وهي تخالف تماماً عقيدة الأسفار التوراتية التي تنسب إليه عليه السلام.

فإذنا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ (سورة طه: 49 ـ 53).

فالله سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والله وحده يعلم ما سلف من البشر والله منزه عن الضلال والنسيان وهو الذي جعل الأرض مسخرة للإنسان وهو الذي سلك فيها السُبل وأنزل من السماء الماء ليخرج من الأرض النباتات.

ويقول تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (سورة الشعراء: 23 ـ 28).

وحين ضل قوم موسى وعبدوا العجل بيّن لهم فساد ذلك وأن الله وحده الإله الذي لا إله إلا هو سبحانه ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (سورة طه: 98).

فإذا كان الله سبحانه هكذا يفهمه موسى النبي فكيف فهمته التوراة ونسبت أقوالها إلى النبي موسى ذاته؟

فكما ورد في نصوص الأسفار الخمسة فإن الله رب نبي إسرائيل وحدهم دون سواهم من البشر. وهو مثل باقي المخلوقات يغار ويغضب ويتألم ويندم وهو يلد مثل البشر وينسب إليه أولاداً.

في الإصحاح الرابع من سفر الخروج جاء قول التوراة: «**وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون ولكنني أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر فقلت أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر**» (خروج 4: 21 ـ 23).

ويرد في سفر التكوين وهو السفر الأول الذي ينسب إلى موسى عليه السلام.

«**وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة كان طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم**» (تكوين 6: 1 ـ 4).

إذاً ما الفرق بين الله التوراتي والإنسان أو البشر؟ فهذا يلد أولاداً وهذا يلد مثله لكن إله موسى منزه عن هذه الصفات التي ينسبونها لله عز وجل.

ومن الواضح أن ما ورد في النصين السابقين ليس إلا صدى للمؤثرات الوثنية في عقيدة التوراة المحرفة. فنحن نعرف أن الميثولوجيا الكنعانية والبابلية واليونانية حفلت بمثل هذا التوالد والتناسل عند الآلهة. ولم يكن كاتب التوراة بمنأى عن هذه

المؤثرات طالما أنه كتب توراته في ظل وجوده في بابل أيام النفي البابلي لليهود. ولا ننسى ما اطلع عليه من ثقافة الفرس أو اليونان. تلك الثقافة التي استوحاها منهم ظناً منه أنه يمنح اليهود تراثاً عظيماً من الأساطير لكنه وقع في فخ الشرك والكفر.

وفي نفس السياق لم يكن كاتب الأسفار الخمسة يفهم معنى الربوبية وصفات الإله وقد دفعه عدم إيمانه بإله واحد وكذلك ما ران على عقله من تشويش وجنون وكذلك ما تأثر به مما شاهده وسمعه دفعه إلى الوقوع في التجسيم والتشبيه وإسقاط أفعال الإنسان على الله سبحانه وتعالى.

في سفر التكوين رأينا الله يتمشى في الجنة، ويسأل ابن آدم وهو جاهل أين يختبئ. ومع نوح والطوفان نرى الله يندم لأنه فعل الشر بالأرض ويقول لا أعود أفعل الشر كما فعلت.

ومع إبراهيم يتجسد الله ويخاطب إبراهيم ويأكل من ذبيحته، ويتردد في الإفصاح عن هويته لإبراهيم.

ومع سارة يكون الرب عنصرياً حيث يأمر هاجر أن تخضع لسيدتها وتكون خادمة مطيعة وكأن الله يفرق بين امرأة وأخرى.

ومع يعقوب يصارع الله هذا النبي في منامه فيغلبه. ومع لوط يناقض الله نفسه بنفسه فتارة يأمر لوطاً أن يأخذ أصهاره معه خوفاً من العقوبة وتارة يقول له أنت أنقذك مع ابنتيك.

وإذا دخلنا في سفر الخروج وهو سفر يخص النبي موسى عليه السلام مباشرة نرى أن الله ينزل من عليائه ليقود بني إسرائيل في النهار كعمود من سحاب وفي الليل كعمود من نار، بل إن الله يقابل شيوخ بني إسرائيل ويتحدث إليهم واحداً واحداً وينزل من عليائه فيدخن الجبل، وكأن الله مركبة فضائية تشتغل بالوقود السائل. وذات الله يقول لموسى لن تراني ولكن سترى طرفي الأخير وأنا أمر بجانب الجبل. والله عندما يهبط من عليائه فيضيء لأنه مثل العقيق الأخضر وكصفحة السماء الزرقاء في نقاوته كما يقول سفر الخروج.

إن الذات الإلهية التي تجلت في الأسفار الخمسة ليست إلا صدى للذات الصنمية الوثنية التي كان عليها آلهة الشعوب الأخرى، فهو مثل مردوخ إله البابليين وهو مثل بعل إله الفينيقيين الكنعانيين. أما إله موسى الحقيقي فهو إله جميع الأنبياء وصفاته وأسماؤه وأفعاله أتى عليها القرآن الكريم. وقد أوردنا بعض الآيات التي تحدث موسى بها أمام فرعون، وأمام قومه الذين ما عهدوا عقيدة التوحيد وما وعوها بل ظلوا بعيدين عنها منذ ذلك الزمن وإلى آخر الأزمان.

وحين نتساءل لماذا تذكر تلك الأسفار الآلهة الأخرى؟ لماذا تساوي بين ذات الله والأصنام. ولماذا تصور التوراة الله غيوراً من الآلهة الأخرى؟ أليس ذلك دليلاً على فقدان روح عقيدة التوحيد عند هؤلاء.

وإضافة لذلك تصور الأسفار الخمسة الله بصفات خسيسة لا يجرؤ عليها حتى أصحاب الأصنام. فهل الله يأمر بأن يسرق الإنسان أخاه الإنسان؟ وهل حقاً قال الله لموسى أن يقول لبني إسرائيل اسرقوا المصريين قبل أن تهربوا ليلاً؟

تقول التوراة: «**فيكون حينما تمضون أنه لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين**» الفقرة الأخيرة من الإصحاح الثالث من سفر الخروج.

وفي سفر الخروج نفسه نرى الله (تنزه عن ذلك) أنه يطلب من بني إسرائيل على لسان موسى أن يرشوا بيوتهم بالدم لكي تميّز عن بيوت المصريين. لأن الله لا يعرف أن يميز بين البيوت.

جاء في سفر الخروج: «**فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. أنا الرب ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعبدونه عيداً للرب في أجيالكم تعبدونه فريضة أبدية**» (خروج 12: 12 ـ 14).

وتتجلى عقيدة الوثنيـة في الأسـفار الخمـسة الأولى المنـسوبة لموسـى عليه السلام في العديد من الفقرات والعديد من المناسبات.

وقد ذكرنا أن كاتب هذه الأسفار يتخيل الله وهو ينزل من عليائه ليلتقي ببني إسرائيل واحداً واحداً. وهذا أشد سخفاً وحمقاً وأشد وثنيةً.

تقول التوراة: **«فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضـع قـدامهم كـل هـذه الكلمات التي أوصاه بها الرب فأجاب جميع الشعب معـاً وقـالوا: كـل مـا تكلـم بـه الرب نفعل. فرد موسى كلام الشعب إلى الرب. فقال الرب لموسى ها أنا آت إليـك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمن بك أيضاً إلى الأبـد. وأخبر موسى الرب بكلام الشعب. فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدسـهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالـث لأنـه في اليـوم الثالـث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء»** (خروج 19: 7 ـ 11).

وعلى الرغم من وضوح هذه الفقرة الوثنية إلا أن كاتب سفر الخـروج يعـدل عن رأيه في نزول الله من عليائه ويرى أن الرب قرر قراراً آخر غير الأول **«فـدعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى فقال الرب لموسى انحدر حـذّر الـشعب لـئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون»** (خروج 19: 20 ـ 21).

ويرد تعدد الآلهة في الأسفار الخمسة بدءاً من سفر التكـوين الـذي يؤكـد أن جماعة يعقوب بمن فيهم زوجاته وأولاده والعبيد الذين كانوا معه كـانوا قـد حملـوا معهم أصناماً وأوثاناً عندما غادر يعقوب أرض خاله لابان.

تقول التوراة: **«فقال يعقوب لبنيه ولكل من كان معـه اعزلـوا الآلهـة الغريبـة التي بينكم، فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم»** (تكوين 35).

وهو يعني أن يعقوب يعترف بوجود آلهة غير إلهه ولكنها آلهة غريبة. وله إلـه خاص ولغيره من الناس آلهة أخرى.

فهل يعقل أن يقول موسى هذا الكلام نقلاً عن ربه؟ طالمـا أنهـم يقولـون إن هذه الأسفار الخمسة هي أسفار النبي موسى عليه السلام.

وإذا كانت مهمة النبي يعقوب كنبي موحد نشر عقيدة التوحيد ورفض الوثنية فما مبرر طلبه من أهله جمع الآلهة الغريبة. وهذا بالطبع ينافي ما ورد في القرآن الكريم إذ يقول عز وجل:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة: 133).

وقد حوى سفر التكوين المنسوب إلى النبي موسى عليه السلام كلاماً عن التحنيط وهذه شعيرة خاصة بفراعنة مصر وتتصل بالعقيدة القائلة إن الفرعون يحنّط ليبقى جسده سالماً لأنه سينتقل إلى عالم الخلود. لذلك فهو يحتاج للأكل والشرب فيضعون له ما يحتاجه.

جاء في سفر التكوين: «**وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه فحنّط الأطباء إسرائيل وكمل له أربعون يوماً لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين**» (تكوين 50).

وجاء أيضاً: «**ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين فحنطوه في تابوت في مصر**» والتحنيط يعني فتح البطن وإخراج الأحشاء من داخله. وهذا تشويه لجسد الإنسان. والواقع إننا نسأل هل كان يوسف يؤمن بعقائد الفراعنة أم أنه يؤمن بعقيدة التوحيد. فنص سفر التكوين يشير إلى أن يوسف كان على عقيدة الفراعنة لذلك حنّط أباه يعقوب ثم إن بني إسرائيل حنطوا يوسف أيضاً ووضعوه في تابوت.

أما ما يخص الذات الإلهية ـ وقد أشرنا إلى بعضها كما وردت في التوراة ـ فإن أهم أمر لدى كاتب التوراة الذي نسب خمسة أسفار منها إلى النبي موسى عليه السلام ـ أراد أن يخصص لبني إسرائيل إلهاً يختلف عن آلهة بقية الشعوب. فقد ضيقوا طبيعة الذات الإلهية فجعلوا الإله خاصاً جداً لهم يصفونه كما يحلو لهم. وكما يرغبون وقد ظنوا أن تخصصهم بإله خاص من شأنه أن يرفع من قيمهم الدينية والعقدية أمام أعدائهم الذين لهم آلهة منذ زمن بعيد.

يرد في سفر الخروج قوله: «**من مثلك بين الآلهة يا رب**» «**الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة**» (الإصحاح 15 والإصحاح 18 من سفر الخروج).

فمن خلال هذا السياق يتبين لنا أن هناك تنازعاً نفسياً لدى اليهود بين اتخاذ هذه الآلهة أو بين اتخاذ أخرى. وبعد كل نعمه تحل بهم يقولون إن هذه الآلهة هي الأفضل. فهناك مقارنة مستمرة بين الآلهة.

وفي سفر الخروج المنسوب للنبي موسى ﷺ يقول: «**لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور**» (خروج 20: 3 ـ 5).

ثم يقول: «**لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب**» (خروج 20: 23).

يعلق آرنولد توينبي المؤرخ المعروف قائلاً حول ذلك: (لقد تصوروا إلههم في صورة إنسان، ويطلب هذا الكائن الإنساني الإلهي من أتباعه طاعة عمياء وولاءً صادقاً كاملاً ولا تختل وجهة النظر هذه بشأن طبيعة إله اليهود ذات المنحى الإنساني بين مثقف وجاهل قديماً وحديثاً. ويعثر عليها الباحث بين القبائل الإسرائيلية البربرية في سالف الأيام ولا يسلم من الإيمان بها فلاسفة اليهود المحدثين. ولم يحدث قط أن تصور اليهود ربهم في صورة تتنزه عن التجسيد الإنساني حتى وقتما قرنوه بالحقيقة الروحية المطلقة)[1].

أما في الإصحاح 25 من سفر الخروج تقول التوراة: «**وكلم الرب موسى قائلاً تكلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي. وهذه هي التقدمة التي تأخذون منهم. ذهب وفضة ونحاس وإسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم**» (خروج 25: 1 ـ 8).

---

(1) فؤاد شبل/ مشكلة اليهودية العالمية. دراسة تحليلية لآراء آرنولد توينبي المكتبة الثقافية عدد 241 عام 1970.

ففي هذا النص يبدو التجسيد للذات الإلهية أكثر وضوحاً. فالرب يطلب من اليهود أن يصنعوا له مسكناً مصنوعاً من الذهب والفضة والأرجوان الخ.

أما عن كتابة الألواح فتقول التوراة: (واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين). فالله يكتب بيده اللوحين وهذا بالطبع تجسيد واضح تماماً.

(الله قائد عسكري في أسفار التوراة الخمسة الأولى)

بعد أن تبين لنا أن كاتب التوراة لم يترك وسيلة لتجسيد الذات الإلهية إلا واستعملها يبرز لنا منحى آخر لهذا الإله التوراتي في سفري العدد والتثنية وهما من الأسفار التي نُسبت إلى موسى عليه السلام.

نرى في البداية أن هذا الرب يدعو إلى احتلال أراضي الشعوب الأخرى بأساليب القهر والظلم والعنصرية والقسوة. وتعتبر هذه الدعوة لهذا الاحتلال دستوراً قتالياً سياسياً لهؤلاء اليهود.

قوانين الحرب

يأتي في سفر التثنية الإصحاح 20: «**حيث تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بالسيف**».

نلاحظ أن الإله التوراتي يملي على أتباعه شريعته المليئة بمشاعر العدوان ونزعة التعطش للدماء والقتل والعدوان. والواقع أن هذا الإله هو من صنع مخيلة كاتب التوراة. بمعنى أنهم تصوروا هذا الإله وتخيلوه وراحوا ينطقونه بما يريدون وبما تهوى أنفسهم، وهذه الصورة التي وضعها اليهود لهذا الإله هي الصورة التي شكلوا خطوطها من أهدافهم ومزجوا ألوانها من أطماعهم وحددوها بإطار من الروح التي حملوها في صدورهم. وقد أرادوا لهذا الإله أن يكون قاسياً داعياً للحرب مدمراً يملي على شعبه الخاص دروساً في القتال والحقد والقسوة والوحشية.

ويتابع هذا الرب مسيرتهم في كل الأمكنة التي يصلون إليها فيأتي في العدد وفي الإصحاح 22: 9: «**فأتى الله إلى بلعام وقال من هم هؤلاء الرجال الذين عندك**».

فالله ينتقل من مكان إلى مكان يرعى جنوده وخاصة شعبه المقاتل أو المنطلق للقتال. ويرى المرء أن هؤلاء اليهود هم الذين يحملون هذا الإله الوثني معهم أينما ذهبوا وحيثما توجهوا. وهذه العادة كانت متبعة لدى الشعوب القديمة حيث كان الإله يُحمل معهم لينصرهم على أعدائهم باعتبار أن هذا الإله يتمثل بالصنم. فكان من السهل حمله معهم وبأي شكل كان. ومثال ذلك أوردته التوراة بأن الفلسطينيين حملوا إلههم (داجون) في حربهم مع العبرانيين أيام الملوك والقضاة كما تقول.

ويتدخل الرب في شؤون الحرب فيوافق على حرب فئة ويعارض في حرب فئة أخرى حتى أن تدخله يأتي بأسلوب فج وأحياناً مضحك.

ففي سفر العدد تقول التوراة: فحمي غضب الرب لأنه منطلق. ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه فأبصرت الأتان ملك الرب وهو واقف في الطريق.

وفي منحى آخر تقول التوراة في سفر العدد الإصحاح 35: 9 ـ 11:

وكلم الرب موسى قائلاً: «**كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتعيّنون لأنفسكم مدناً تكون مدن ملجأ لكم ليهرب إليها القاتل الذي قتل نفساً سهواً**».

فهذا الرب يعد اليهود بمدن وأراض مقابل ولائهم له، بل يهيئ لهم هذه المناطق ليهرب إليها القاتل لئلا يلاحقه الناس أو تلاحقه العدالة.

(الإله التوراتي وقوانين الحرب العنصرية)

يقول المؤرخ توينبي: (ولعله كان في الأصل رب القبائل الكنعانية أو مدين. ومهما يكن من أمر موطنه الأصلي يبدأ سجله التاريخي منذ أن اتخذته إسرائيل إلهاً سياسياً لها)[1].

---

(1) فؤاد شبل/ مشكلة اليهودية العالمية، ص 25 سبق ذكره.

ولننظر إلى هذه القيادة الإلهية لبني إسرائيل في حروبهم المفترضة ضد القبائل العربية تقول التوراة: «**هأنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها**» (خروج 34: 11 ـ 12).

ويأتي في سفر التثنية: «**فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم. الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم**» (تثنية 1/ 3).

ويأتي أيضاً في التثنية: «**فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص: فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبقِ شارداً. لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا**» (تثنية 2: 31 ـ 35).

ولنعد على الأسماع القوانين الدموية العنصرية التي جاءت في سفر التثنية وهي مخالفة لطبيعة النبوة.

«**حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبعد منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحِويّين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك**» (تثنية 20: 10 ـ 17).

وجاء في سفر التثنية أيضاً: «**الرب إلهك هو عابر قدامك. هو يبيد هؤلاء الأمم من قدامك فترثهم**» (سفر التثنية).

وإذا دققنا النظر في هذه القوانين نراها تتناقض كلياً مع منهج النبوة بشكل عام وتتعارض كلياً مع شخصية موسى ﷺ كما جاء عليها القرآن الكريم.

ومن الواضح تماماً أن هذا الكلام الذي أورده كاتب التوراة في سفر التثنية المنسوب زوراً وبهتاناً إلى النبي موسى يتحدث عن مرحلة لاحقة وهي مرحلة تأصيل الحقد اليهودي على القبائل العربية الفلسطينية. عندما تصدى العرب من كنعانيين وبابليين لهذا التسرب اليهودي إلى فلسطين. وعندما خلّصت فلسطين من دنس هذا التسرب وجد اليهود أنفسهم بلا شيء لذلك صب كاتب التوراة جام حقده على أهل فلسطين. وأصبح كلامه قوانين يسير عليها اليهود حتى يومنا هذا.

الفصل الخامس

النبي موسى في نهاية المطاف

الأرض المقدسة

نهاية النبي هارون عليه السلام

انتهاء العلاقة بين النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل

ماذا قيل في موت النبي موسى عليه السلام؟

النبي موسى عليه السلام في نهاية المطاف

ورد في القرآن الكريم ست آيات في سورة المائدة تـرتبط بـالنبي موسـى عليه السلام وكذلك ببني إسرائيل وبحدث محدد. هذه الآيات هي من الآية 21 ـ 26.

يقول تعالى فيها: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة المائدة: 21 ـ 26).

يرى بعض الدارسين والمفسرين أن الأرض المقدسة هي أرض بيت المقدس. ويرى آخرون أنها أرض أريحا وما حولها. وبعضهم قال إن القصة في مجملها امتحان لبني إسرائيل.

لم يرد اسم الأرض المقدسة إلا في هذا الموضع من القـرآن الكـريم فـإذا كـان المقصود أرض بيت المقدس فإن آيات أخريات سمت هذه الأرض بالأرض المباركة وقد ورد ذلك في قوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: 71).

بينما ورد ذكر التقديس في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (سـورة طه: 12).

تشير روايات المؤرخين ومنهم الطبري وكـذلك ابـن الأثـير إلى أن المقـصود بـالأرض المقدسـة هـي أرض أريحـا وكـان فيهـا قـوم جبـارون حـسب روايـات الإسرائيليات، ولماذا لا تكون الأرض المقدسة في سيناء؟ لأن فيها نزل الوحي عـلى

النبي موسى وكذلك نزلت الألواح لماذا لا يكون جبل طور سيناء هو المقصود بالتقديس؟

على أي حال فلنا وقفة مع ما ورد في بعض كتب التاريخ لنرى كم دخلت روايات الإسرائيليات إليها وكم نرى من التناقضات حول حقيقة الأرض المقدسة.

يقول ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ:

وقال آخرون: إن موسى عاش حتى خرج من التيه وسار إلى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يشوع بن نون ففتحها وهو قول ابن إسحق. قال ابن إسحق: سار موسى بن عمران إلى أرض كنعان لقتال الجبارين فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران. فلما بلغوها اجتمع الجبارون إلى بلعم ابن باعور وهو من ولد لوط فقالوا له إن موسى جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم. وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم فقال لهم: كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة. فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم. فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا إليها أن تحسّن لزوجها أن يدعو على نبي الله. فقالت له في ذلك فامتنع، فلم تزل به حتى قال: أستخير الله. فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فأخبرها بذلك فقالت: راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد إليه جواب فقالت: لو أراد ربك لنهاك. ولم تزل تخدعه حتى أجابهم فركب حماراً له متوجهاً إلى جبل مشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو على بني إسرائيل. فما سار عليه إلا قليلاً حتى ربض الحمار فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلاً فبرك. فعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه في الثالثة أنطقه الله فقال له: ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردني فلم يرجع فأطلق الله الحمارَ حينئذٍ فسار عليه حتى أشرف على بني إسرائيل فكان كلما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له في ذلك. فقال: هذا شيء غلبنا الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره. فقال: الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة وأمرهم أن يزيّنوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن

إلى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها. وقال: إن زنى منهم رجل واحد كُفيتموهم ففعلوا ذلك. ودخل النساء عسكر بني إسرائيل فأخذ زمري بن شالوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى فقال له: أظنك تقول هذا حرام فوالله لا نطيعك، ثم أدخلها خيمته فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون وكان فنحاص بن إليعازر بن هارون صاحب أمر عمه موسى غائباً فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني إسرائيل وأخبر الخبر وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنها بحربة في يده فانتظمهما ورفع الطاعون.

ثم إن موسى قدم يشوع إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب فخشي أن يدركهم الليل فيعجزوه فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى وأقام بها ما شاء الله أن يقيم وقبضه الله إليه ولا يعلم بقبره أحد من الخلق)[1].

هذه رواية ابن الأثير عن ابن إسحق. وهي رواية إسرائيلية مائة بالمائة فهي تحوي من التناقضات ما يثير العقل ويخالف الجغرافية والتاريخ ويخالف آيات القرآن الكريم.

1 ـ فقوله إن موسى سار إلى مدينة الجبارين. يناقض قول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

فقد حرمت عليهم بمن فيهم موسى وظلوا تائهين في الصحراء كما حكم الله عليهم أربعين سنة.

وهناك رأي يقول إن بني إسرائيل تشتتوا بقضاء الله سبحانه وتاهوا في الأرض وتوزعوا ولم تعرف قبيلة مصير القبيلة الأخرى.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: إن موسى وهارون توفيا في التيه وتُوفي فيه كل من دخله. وقد جاوز العشرين سنة.

---

(1) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ الجزء 1/ ص 201 ـ 202.

2 ـ ظاهر الآيات القرآنية أن تلك الأرض كان فيها قوم جبارون. وأريحا لم يكن فيها قوم جبارون ولكن التفسيرات التوراتية وخاصة ما جاء في التوراة تحاول أن تضخم أعداء اليهود لتقول إنهم أقوى من هؤلاء الجبارين بل وتغلبوا عليهم. وفي النص القرآني يظهر جُبن بني إسرائيل ورفضهم لأمر نبيهم موسى عليه السلام وقد حاول معهم عدة مرات، وأخيراً قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون.

وهذه الآية تنفي نفياً قاطعاً دخول موسى عليه السلام وبني إسرائيل إلى تلك الأرض ثم إن الجُبن الذي سيطر عليهم لن يؤهلهم أن يتبعوا يشوع في حروبه المتوهّمة وفي سفر يشوع وهو السفر السادس من التوراة العبرانية ملاحم أسطورية غريبة يصور كاتب التوراة فيها ما لم يتصوره عقل ولا تاريخ. وإنما هو من نسج خياله وأمنياته. وقد أكد علم الآثار أن أريحا لم تتعرض لهجوم من قبل هؤلاء ولم تنهدّ أسوارها كما تزعم التوراة.

3 ـ يورد نص ابن الأثير المنقول عن ابن إسحق أن رجلاً اسمه بلعم بن باعور وهو من ولد لوط كان متزعماً على هؤلاء الجبارين.

فمن أين جاءت هذه الرواية؟ مع العلم أن الله سبحانه أباد قوم لوط ولم يبق معه إلا ثلة قليلة من أهله ودون امرأته التي خانته فمحقها الله وأحرقها.

وإذا كانت الرواية هذه صحيحة فإن هذا الرجل المدعو بلعم بن باعور كان يعرف اسم الله الأعظم ويقول كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟ إذاً لم يكن هذا الرجل جباراً بل هو مؤمن بالله وبرسالة النبي موسى ومؤمن بالملائكة، إذاً لماذا يقاتله موسى وهو نبي لا يدعو إلى القتل؟ حتى أن اسم بلعم بن باعور هو اسم عبراني ولا ندري كيف أقحم هذا الاسم على هذه الرواية.

والغريب في الرواية أن هذا بلعم يصف أصحاب موسى بالمؤمنين، وهم لم يكونوا كذلك؛ لأنهم حسب النص القرآني تمردوا على نبيّهم ورفضوا أوامره حين طلب منهم الدخول إلى تلك الأرض المقدسة.

ثم في الرواية نفسها تناقض صارخ، فإذا كان بنو إسرائيل مؤمنين كما وصفهم هذا الرجل المدعو بلعم بن باعور فلماذا عندما قال راوي القصة إن نساء أريحا ذهبن إلى جيش بني إسرائيل لأجل الإيقاع بهم وفعلاً حسب الرواية وقعوا في شر المنكرات وزنوا. فهل يكون هؤلاء مؤمنين ويقومون بهذه الفاحشة؟

ثم تقول الرواية إن الطاعون حل بقوم موسى. فماذا فعل بهم هذا المرض؟

ثم تقول الرواية إن موسى ﷺ دعا ربه أن يوقف الشمس ويؤخر غروبها فتأخر الغروب ساعة. فما هذه الأسطورة وهذه الخرافة. الشمس بحجمها وقوة حرارتها تتوقف عن المسير لمدة ساعة. ماذا حل بالكون بسبب هذا التوقف ماذا حل بالأرض، بالكواكب، بالنجوم. هل ظلت على مسارها؟ ألم تصطدم بالشمس، ألم تصطدم مع بعضها، ماذا حل بالنبات بالإنسان بالحيوان بكل المخلوقات؟

إن تلك الرواية ما هي إلا من الأساطير المسروقة من أساطير الشعوب الأخرى. أراد كاتب التوراة ورواة الإسرائيليات أن يضخموا الأحداث ويضفوا عليها حساً أسطورياً معجزاً خارقاً لنواميس البشر.

هذه رواية ابن الأثير المنقولة عن ابن إسحق. وما أكثر الإسرائيليات التي نقلها ابن إسحق وهي في غالبيتها مرويات إسرائيلية تخالف القرآن كلياً وتخالف منطق العقل والتاريخ والجغرافيا.

وننقل الرواية الأخرى وهي رواية الطبري. فهي في أسطورتها أكثر إضحاكاً وأكثر غرابة.

فلما تمرد بنو إسرائيل ورفضوا دعوة النبي موسى غضب منهم ودعا عليهم وقال: فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين..

يقول الطبري: وكانت عجلة من موسى عجلها، فقال الله: (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض). فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى، وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له: ما صنعت بنا يا موسى؟ فلما ندم أوحى الله عز وجل إليه أن لا تأسَ، أي لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين. فلم يحزن فقالوا: يا موسى فكيف لنا بماء هاهنا أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن والسلوى...

فلما خرجوا من التيه رُفع المن والسلوى وأكلوا البقول والتقى موسى وعاج (عوج بن عناق) فنزا (ارتفع) موسى في السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عاج فقتله.

ويورد الطبري: كان سرير عوج ثمانمئة ذراع وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة أما ما يتعلق بأريحا والقوم الجبارين فلينظر القارئ ما أورده الطبري من خرافة لا يقبلها مجنون ولا عاقل ولا مؤمن ولا كافر.

يقول الطبري: (ثم أمرهم بالسير إلى أريحا وهي أرض بيت المقدس حتى إذا كانوا قريباً منها بعث موسى اثني عشر نقيباً من جميع أسباط بني إسرائيل فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عاج (عوج) فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حجزته وعلى رأسه حملة حطب فانطلق بهم إلى امرأته فقال انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا فطرحهم بين يديها فقال: ألا أطحنهم برجلي فقالت امرأته: لا بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض: يا قوم إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه وأخبروا نبيَّي الله فيكونان هما يريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه. ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج (عوج) وكتم رجلان منهم فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر.

فليس في الخلق مخلوق يصل طوله كما قالت رواية الطبري، فهل يعقل أن يقبض هذا الجبار على اثني عشر رجلاً ويريد أن يطحنهم برجله أو بقدمه، وهل يعقل أن موسى عليه السلام يقفز عشرة أذرع ليصل إلى كعب رجله فيضربه بالعصا ويقتله؟

ولنر الآن ما جاء على لسان ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية لندرك صحة ما قاله في الإسرائيليات.

ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثاراً فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها، من أن أشكال الجبارين كانت هائلة وكانوا ضخاماً جداً حتى إنهم

ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفّهم في أكمامه وحجزة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين. فقال ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها. وأن الملك بعث معهم عنباً كل عنبة تكفي الرجل وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم وهذا غير صحيح. وذكروا ههنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين. وهذا غير صحيح، وهذا كله من الإسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تميز لهم بين صحتها وباطلها.

ويقول ابن كثير: عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسيرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً. ويقال إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة)[1].

ويقول ابن كثير في لفتة مهمة: ولم أر في كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين. ولفتة ابن كثير مهمة جداً إذ أنها تؤكد أن كاتب التوراة لم يرد أن يبين جُبن هؤلاء وارتدادهم، بل تمادى في قوله إن يوشع بن نون حاصر أريحا ودار حولها سبعة أشواط ثم نودي بالبوق فسقطت أسوارها ودخلها يشوع حسب نص التوراة وأجرى فيها مذبحة هائلة على زعم التوراة، ولكن الحقيقة أن يشوع لم يدخل أريحا وهذا كله من خيالات كاتب التوراة.

حقائق على ضوء الآيات الكريمة:

يقول تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا

---

(1) ابن كثير/ البداية والنهاية/ الجزء الأول ص 248 ـ 249.

ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة المائدة: 21 ـ 26).

يبدأ نداء سيدنا موسى عليه السلام لبني إسرائيل بالدخول إلى أرض مقدسة كتبها الله لهم.

ومنذ البداية لا ندري ما هي الأرض المقدسة وأين تقع. لقد قال المفسرون إنها أرض أريحا وكان فيها قوم جبارون. ولكن تحديد الأرض المقدسة بأريحا هي من رواية التوراة والإسرائيليات، فليس هناك مصدر آخر يؤكد أن أريحا هي المقصودة بالتقديس وإذا قيل إن الأرض المقدسة هي ديار بيت المقدس أو فلسطين فإن القرآن الكريم يصف هذه الأرض بالمباركة وليس بالمقدسة.

وإذا افترض بعضهم أنها أرض فلسطين فإن هذه الأرض لم يكن فيها قوم جبارون وإنما كانت فيها عدة أقوام أو قبائل منها قبائل كنعان واليبوسيين والأموريين والجرجاشيين والحثيين وغيرهم ولم يعرف عن هذه القبائل العربية أنها من الجبابرة ومن هنا لا ندري أين هذه الأرض المقدسة التي يسكنها قوم جبارون. هل هي أريحا أم هي في سيناء أم أنها مناطق أخرى في الأردن أو غيرها.

لقد كان نداء النبي موسى امتحاناً لبني إسرائيل. ويبدو أنه الامتحان الأخير قبل وفاة هذا النبي. لقد امتحنهم بالبقرة وبتطبيق التشريع والإيمان بالله الواحد فعبدوا العجل وانحازوا كلياً عن عقيدة التوحيد وبدلوا التشريع حتى يتناسب مع نفسيتهم وظروفها، وميلهم إلى الفساد. وهنا يبرز هذا الامتحان الأخير وهو الدخول إلى أرض مقدسة لكي يقيموا شعائر الله. ولكنهم رفضوا منذ النداء الأول. فقالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فكيف يمكن أن يخرج شعب من أرض ويسلمها لغيره؟ وهذا من المستحيل دينياً

واجتماعياً وعلى كل الوجوه، إن هذا يدل على رعب مسبق دبّ في قلوبهم وهكذا هي الحقيقة حقيقة الجبن والخنوع اللذين تميزوا بهما. وهذا يدل على أن حروب يوشع التي افتعلتها التوراة ما هي إلا أوهام وخيالات وأمنيات افترضها كاتب التوراة.

وأخيراً يتخلى بنو إسرائيل نهائياً عن النبي موسى حين قالوا: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)، فبعد معاناة وتبليغ داما أكثر من ثمانين سنة هاهم يرفضون نداء موسى عليه السلام.

لذلك لا يمكن أن نعثر على بقية لقصة النبي موسى عليه السلام مع بني إسرائيل بعد هذه الحادثة. ونرى قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (سورة المائدة: 25). إذاً بنو إسرائيل فاسقون وهذه حقيقة. لذلك نرى أن سيرة النبي موسى تنتهي إلى هذا الحد.

إن بعض الآراء التاريخية تقول: إنه في زمن وجود بني إسرائيل في سيناء قدمت غزوة من جزيرة كريت اليونانية بعد صراع بين الإمارات اليونانية آنذاك وحاولت هذه الحملة احتلال أجزاء من شمال مصر ولكنها فشلت فتوجهت بحرياً إلى سواحل فلسطين واستطاعت النزول في غزة وتمركزت فيها. ثم تقول المصادر: إن هذه الحملة أقامت في خمسة مدن فلسطينية ساحلية، منها عسقلان وغزة وإسدود وعقرون ومدينة داخلية اسمها جت.. وكان هؤلاء من متمرسي الحرب. فعندما أراد موسى عليه السلام أن يحث بني إسرائيل للدخول إلى الأرض المقدسة اصطدم بنو إسرائيل بهؤلاء اليونانيين وقارنوا بينهم وبين هؤلاء فأدركوا أن لا طاقة لهم بهم فوصفوهم بالجبارين وخافوا منهم. وهذه كما قلنا إحدى الروايات.

وتقول رواية أخرى: إن الجبارين من العناقيين كانوا يسكنون في الجهة الشمالية الغربية من سيناء، وتشير التوراة إلى اصطدام بينهم وبين بني إسرائيل الذين هربوا باتجاه الجنوب نحو جبل سيناء أي جبل حوريب، ومن الممكن أن النداء كان موجهاً لبني إسرائيل كي يقاتلوا هناك العناقيين.

وهناك رواية تقول: إن موسى عليه السلام طلب من بني إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة من دون حرب أو صراع، والغاية أن يقدسوا الله ويتعبدوا له وليس القصد طرد السكان أو إجراء المذابح بحقهم واحتلال أراضيهم.

وهناك رواية أخرى تقول إن بعض أطراف فلسطين كان يسكنها أقوام قد ضلوا وعبدوا الأصنام فأراد الله أن ينهزموا ويحل محلهم بني إسرائيل طالما أنهم يعبدون الله ويسيرون على منهج موسى في ظاهر الأمر. ولكن باطن الأمر تبيّن وتبيّن معه أن بني إسرائيل كانوا يتقلبون وينقلبون من عقيدة إلى أخرى ولا يثبتون على مبدأ على الرغم من وجود نبي الله موسى بينهم.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة المائدة: 26).

توقف المفسرون عند هذه الآية فأقروا بفهمهم أن الله سبحانه حرّم دخول تلك الأرض المقدسة على بني إسرائيل تحريماً أبدياً. وبعض المفسرين قالوا حُرّمت عليهم أربعين سنة حيث ظلوا تائهين في الأرض هذه المدة الزمنية ثم أذن الله لهم بالدخول إلى هذه الأرض.

وتوقف مفسرون آخرون عند قوله تعالى «أربعين سنة يتيهون في الأرض»، بأن الله سبحانه قضى على بني إسرائيل التيه في كل مكان، والواقع لم يعد بينهم نبي يجمعهم. ولم يكونوا على عقيدة التوحيد حتى ينصرهم الله في شؤون حياتهم.

موسى وهارون عليهما السلام ونهاية المطاف

من الطبيعي والبدهي أن كل نبي يؤدي رسالته ويظل في قومه يهديهم حتى النهاية، ومن الطبيعي أن النبي موسى وكذلك النبي هارون تُوفيا وانتقلا إلى جوار ربهما، ونحن لا نعرف بالضبط متى مات النبي موسى عليه السلام لولا بعض الإشارات المستنتجة أولاً، ولولا أحاديث رسول الله ﷺ التي تحدثت بإيجاز عن النبي موسى عليه السلام.

وقد أسهبت كتب التفسير والتاريخ الإسلامي بالحديث عن نهاية النبي موسى وكذلك عن نهاية النبي هارون. وقد ذكرت التوراة بعضاً من هذه النهاية.

يرد في التوراة: «**وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً. ومتْ في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضُم إلى قومه. لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل**» (تثنية 32: 48 ـ 52).

وهذا النص يوضح أن هارون عليه السلام مات في جبل هور. ولكن نصاً آخر من آخر سفر التثنية يتحدث عن موت موسى عليه السلام بقوله: «**فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم**» (تثنية 34: 5 ـ 6).

وتقول التوراة: «**وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات**» (تثنية 34: 7).

وتقول: «**ولم يقم بعد بني في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه**» (تثنية 34: 10).

هل مات النبي موسى مقتولاً؟

على ضوء النص الذي ذكرنا ومنه قول الله لموسى: (**ومتْ في الجبل**) الذي قبالة أريحا تثار تساؤلات فيما يتعلق بكيفية موت موسى عليه السلام هل مات موتاً طبيعياً أم هل أمر الرب بموته.

استخلص الباحث الألماني سيليين من بعض الفقرات في سفر يشوع أن هناك دلائل بأن موسى مات شهيداً اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية تقريباً. وهناك من يرى أن يشوع بن نون هو الذي اغتال النبي موسى

حيث اصطحبه إلى أعلى الجبل ثم عاد بدونه ليعلن أن الأمر بموت موسى قد تم تنفيذه وفقاً لأمر الرب.

ويقول فرويد إن ما استخلصه سللين من اغتيال موسى على أيدي أتباعه محتمل جداً لأن موسى لابد أن يكون استعمل العنف والقسوة في فرض شعائر دينية صارمة على أتباعه ولعلها أكثر صرامة من تلك التي فرضها أخناتون على الشعب المصري[1].

ماذا تقول روايات المفسرين والمؤرخين المسلمين؟

جاء في الكامل لابن الأثير:

قيل: بينما موسى عليه السلام يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال: لا تقوم الساعة وأنا ملتزم نبيَّ الله، فاستل موسى من تحت القميص وبقي القميص في يدي يوشع. فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو إسرائيل وقالوا: قتلت نبي الله فقال: ما قتلته ولكنه استُل مني. فلم يصدقوه قال: فإذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام. فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فأُتي كل رجل كان يحرسه في المنام فأخبره أن يوشع لم يقتل موسى... وأنا قد رفعناه إلينا، فتركوه.

وقيل: إن موسى كره الموت فأراد الله أن يحبب إليه الموت فأوحى الله إلى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ويقول له موسى: يا نبي الله ما أحدث الله إليك فقال له يوشع بن نون: يا نبي الله لم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله لك. ولا يذكر له شيئاً. فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت. وقيل: إنه مر منفرداً برهط من الملائكة يحفرون قبراً فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والبهجة. فقال لهم: يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه. فقال: إن هذا العبد له

(1) د أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ/ ص 236.

منزل كريم ما رأيت مضجعاً ولا مدخلاً مثله فقالوا: أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت قالوا: انزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك وتـنفس أسـهل تـنفّس تتنفسه، فنـزل فيـه وتوجه إلى ربه فتنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب[1].

وذكر ابن كثير حديثاً من صحيح البخاري قال فيه: حدثنا يحيـى بـن موسـى حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عـن أبي هريـرة قـال: أرسـل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه (ضربه) فرجع إلى ربه عز وجل فقـال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فـالآن قـال: فسأل الله عز وجل أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبـو هريـرة؛ فقـال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثمَّ أريكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر.

وفي رواية أخرى لمسلم وأحمد في مسنده. قال: جاء ملـك المـوت إلى موسـى عليه السلام فقال: أجب ربك فلطم موسى عين الملك ففقأه فرجع الملك إلى الله فقال: إنك بعثتني إلى عبد لك لا يريد الموت قال: وقد فقأ عيني قال فرد الله عينه وقال: ارجـع إلى عبدي فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك... بقية الحـديث. وقـد تفرد به أحمد وهو موقوف بهذا اللفظ وقد رواه ابن حبان في صـحيحه وقـد أجـاب عنه بما حاصله أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمجيئه له على غير صورة شـاب فلم يعرفهم إبراهيم ولا لوط أولاً، وكذلك موسى لم يعرفه لذلك لطمه ففقـأ عينـه لأنه دخل داره بغير إذنه.

وقال السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عبـاس وعـن مـرة عـن ابـن مسعود وعن ناسٍ من الصحابة قالوا ثم إن الله تعالى أوحـى إلى موسـى أني متـوفٍ هارون فأت به إلى جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هـم بشجرة لم ير شجرة مثلها وإذا هم ببيت مبني وإذا هم بـسرير عليـه فـرش وإذا فيـه

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ/ المجلد الأول ص 198.

ريح طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال له موسى: فنم قال: يا موسى نم معي فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً. فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني. قال فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء. فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هارون وكان في موسى بعض الغلظة عليهم، قالوا فإن موسى قتل هارون وحسده حبّ بني إسرائيل له وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى. فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم كان أخي أفتروني أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض)[1].

(1) ابن كثير: البداية والنهاية المجلد الأول ص 171 ـ 172.

الفصل السادس

النبي موسى عليه السلام
بأقلام الباحثين
والمؤرخين

النبي موسى ﷺ بأقلام الباحثين والمؤرخين

تواجه الباحث مشكلات أثارها عدد كبير من الباحثين والمؤرخين القدامى والمحدثين وهذه المشاكل برزت من خلال دراسة شخصية النبي موسى ﷺ في التوراة، ولعل أكثر ما تعرض له الباحثون شخصية هذا النبي وما ارتبط به من عقيدة ومن تشريع ومن تعامل مع بني إسرائيل.

ويمكن لنا أن نجمل ما تناوله الباحثون في الآتي:

1 ـ موسى قائد عسكري عنصري وليس نبياً.

2 ـ موسى أتى بتشريع عنصري في التوراة.

3 ـ ليس موسى من بني إسرائيل بل هو مصري.

ولكثرة البحوث والدراسات التي تناولت شخصية هذا النبي فقد تنوعت أسبابها وأهدافها وغاياتها وتعددت جنسيات الباحثين وأديانهم، حتى أننا نرى منهم يهوداً أو مسيحيين غربيين ويهوداً ومسيحيين شرقيين.

ونستطيع أن نلمس من خلال ما كتبه هؤلاء الباحثون أن الفكر السياسي والانتماء الديني والقومي يلعبان دوراً مهماً في الحديث عن هذه الشخصية، فهناك باحثون من تيارات علمانية لا تعترف بنبوة موسى ﷺ وهناك تيار مسيحي شرقي يرى أن موسى بالمقارنة مع المسيح لم يكن نبياً بل كان قائد جماعة بربرية عنصرية.

وهناك تيارات علمانية محايدة تحاكم مصادر العقيدة اليهودية وخاصة التوراة دون الهجوم أو المسّ بما جاء فيها.

ويبقى في هذا الإطار منهجنا المتبع على ضوء ما قرأناه في القرآن الكريم والسنة النبوية. وهو في جوهره يستند إلى الإيمان بالأنبياء جميعاً. وموسى ﷺ نبي من أولي العزم عانى الكثير من بني إسرائيل وهو يرشدهم إلى الطريق الإلهي القويم. ولا نعتمد على ما جاء في التوراة العبرانية لأنها مؤلفة من قبل مؤلفين وليست كلاماً منزلاً من الله. لذلك نرى أن الباحثين في التوراة وقعوا في فخ قاتل

عندما رأوا أن التوراة تعبر عن شخصية النبي موسى لكنهم لم يرجعوا إلى القرآن الكريم ليدركوا هذه الشخصية بعيداً عن تلفيقات التوراة.

شخصية النبي موسى أسطورة أم حقيقة

يرى بعض الباحثين العلمانيين ومنهم علماء يهود أن موسى تلفيقة أسطورية توراتية فهو ليس موجوداً حقيقة.

يعلن عالم الآثار وليام ديفر من جامعة أريزونا أن موسى شخصية أسطورية ويعلن علماء الآثار القديمة بل ويؤكدون أن قصص موسى كانت من صنع سياسي وقد ابتدعت لتجميع القبائل في أطراف أرض كنعان (كائنة أينما كانت وذلك بهدف صنع رمز بطولي تاريخي).

وقد استند علماء الآثار على المعلومات الشحيحة الغامضة في التوراة. فجل ما يذكره العهد القديم أن والده ووالدته من بيت لاوي ولا ينقل عن شخصيته سوى معلومة وفاته وأنه لم يقم نبي بعده في إسرائيل كما يقول سفر التثنية[1].

ويرى فرويد وهو عالم نفس يهودي أن اثنين يحملان اسم موسى، والأول منهما كان والياً لأخناتون الموحد على منطقة جاسان حيث يوجد العبريون. وحين سقطت دعوة أخناتون خرج موسى مع أتباعه هارباً بعقيدته الجديدة حيث يقتل الشعب موسى الأول وفيما بعد يقيمون بديلاً له تكفيراً عن خطيئتهم.

بالطبع فإن فرويد يحلل على هواه وليس هناك أي دليل على هذا الكلام لا من التوراة ولا من غيرها.

ويرى برستد وهو عالم آثار أميركي أن الاسم (موسى) اسم فرعوني خالص ويعني ابن وهو جزء من اسم فرعون المركب على غرار ما نرى من اسم تحتموس. رعمسيس.

---

(1) أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب/ ص 19.

أما المؤرخ اللبناني كمال صليبي فيعطي تفسيراً للاسم مفاده أن الاسم موسى بالعبرية (موشه بالتصويت هو اسم الفاعل من مشه أي انتشل أو خلص والفعل هذا يقابله في العربية مسا أي استخرج الأوساخ من خرج الناقة أو البقرة ويقابله بالآرامية مشا تصويتا من مشئ بمعنى غسل أو طهر).

وعليه يرى بعضهم أن موسى لم يكن اسماً إنما كان صفة أو كنية بمعنى المخلص أو المنقذ. وهناك روايات أخرى حول مصرية النبي موسى ومنها ما رواه المؤرخ اليهودي الشهير فلافيوس يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي. وقد قال إن موسى كان حاكماً أو كاهناً مصرياً وقد كان قائداً كبيراً في الجيش المصري خلال الحملة المصرية على الحبشة التي حقق فيها نصراً كبيراً، وقد تزوج هناك من (تربيس) بنت ملك الحبشة، كما أن الفيلسوف اليهودي الإسكندري فيلون 30 ق م. أيّد بأن موسى كان مصرياً وبذلك يكونان قد خالفا الإجماع اليهودي على عبريته، وقد ورد في التوراة ما يؤيد زواج موسى في الحبشة فقالت: إنه تزوج من امرأة كوشية كما أوردت أنه تزوج من ابنة كاهن مدين. وفي كلا الزواجين لم نجد ظاهرة تدل على أنه كان لموسى صلة ببني إسرائيل وفي التوراة أيضاً ما يشير إلى أن موسى سمي بالمصري في قول بنات يثرون لأبيهن عن نجدة موسى لهن من الرعاة (فقلن: رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم).

ويؤكد ول ديورانت أن موسى اسم مصري ولعله اختصار للفظ حموس. ويقول نقلاً عن جارستانغ عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة ليفربول أنه اكتشف في مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن موسى أنجبته في عام 1537 ق.م الأميرة حتشبوت وأنه تربى في بلاطها بين حاشيتها. وأنه فر من مصر حين جلس على العرش عدوها تحوتمس الثالث ويضيف ول ديورانت أن يوسيفيوس ينقل عن مانيثون وهو مؤرخ مصري عاش في القرن الثالث ق.م أن موسى كان كاهناً مصرياً خرج للتبشير بديانة التوحيد وقد ورد في التقليد أن ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفقهونه علوم المصريين ويرى أكثر الخبراء أن النبي موسى بشر بعقيدة التوحيد الخالصة التي

دعا لها أخناتون فيقول العلامة (ويج) إن أول من قال بالتوحيد المطلق الذي يدعو إلى عبادة الإله الواحد هو أخناتون. ويبدو أن موسى وقد أمضى طفولته وشبابه في مصر عرف هذه العقيدة وتأثر بها ودعا لها[1].

وبالطبع للحديث بقية عما قاله بعض علماء الغرب وعلماء الآثار. وهذا المنهج هو أحد المناهج التي اتبعها الباحثون في دراسة شخصية النبي موسى عليه السلام.

وهذا يجرنا لننظر إلى منهج آخر، وهو منهج هجومي يستند إلى التوراة، فيحاسب شخصية النبي موسى على أساس وصف التوراة له. وقد ارتبط هذا المنهج على الغالب بأيديولوجية معينة ترفض التوراة واليهودية وأنبياء التوراة وحتى أنبياء بني إسرائيل بشكل عام.

ندرة اليازجي وكتابه (رد على التوراة)

يقول ندرة اليازجي: تأسست اليهودية على يد رئيس كهنة الإسرائيليين هارون أخي موسى، كان هارون رئيس كهنة الإسرائيليين وكان موسى نبيهم واستطاع هارون الطامع برئاسة بني إسرائيل أن يحوّل الأمور لصالحه في الانقلاب الذي قام به ضد موسى يوم كان هذا الأخير يقضي أوقات تأمله على جبل سيناء وحدث أن موسى انحدر من الجبل وشاهد ما فعل أخوه. أدرك موسى أن هارون حرض جمهور الشعب ضده فقفل عائداً إلى قمة الجبل حيث لقي حتفه.

ثمة مراجع تذكر أن موسى لم يُشَاهَد بعد صعوده الثاني. وتتحدث هذه المراجع عن انتقال موسى إلى جوار ربه. لقد قتله أخوه رئيس الكهنة واحتل مكانه في قيادة الشعب[2].

فهذا الكلام في هذه الفقرة مرفوض لأن هارون لم يقم بانقلاب على أخيه موسى عليهما السلام، والذي حدث أن السامري هو الذي صنع العجل ليعبده بنو إسرائيل، ولم يستطع هارون النبي ردّهم وكادوا أن يقتلوه.

---

(1) نقلاً عن كتاب الدكتور أحمد سوسة العرب واليهود في التاريخ ص 509.

(2) ندرة اليازجي: رد على التوراة، ص 30/ دار الغربال/ دمشق 1987.

من ناحية ثانية، من المؤكد أن هارون مات قبل موسى وليس العكس. إذ أن هارون مات في جبل هور حسب ما قالت التوراة، وحسب ما جاء في المصادر الإسلامية فإن هارون مات قبل موسى واتهم بنو إسرائيل موسى عليه السلام بقتله وليس العكس ولم يقدْ هارون بني إسرائيل كما يتخيل الكاتب لأنه كما قلنا مات قبل موسى عليه السلام ويقول اليازجي: وفي هذا الانقلاب الشبيه بانقلاب قام به كهنة أمون في مصر على إخناتون، تحول الاتجاه الديني من الإسرائيلية التي كانت تؤمن بإله كوني على غرار مبادئ إخناتون إلى يهودية تعبد إلهاً خاصاً شخصياً، لقد تحول إيل إلى يهوه. وفي التحول الطارئ على الاتجاه الديني أصبح هارون الكاهن الوسيط بين الإنسان الإسرائيلي والإله يهوه. ولم يعد بإمكان الإسرائيلي القيام بتقديم الذبيحة بنفسه، وذلك لأن الوساطة بينه وبين ربه الجديد قد تركزت في النظام الكهنوتي الذي أسسه هارون.

وتحت عنوان موسى والتوراة يقول اليازجي: موسى وسيلة لإيقاف الشر بالعنف ولهذا ساء العنف في الناموس. فهل يمكن أن تقوم شريعة بدون عنف وقسوة؟ إذن لا ناموس ولا شريعة من الله. وضع الناموس لشعب يعبد إبليس ويسير في ركاب الشر.

فليس من السهل وضع ديانة له لأنه شعب يسير تحت اللعنة يتعالى على الروح ليغرق في المادة هو تعبير كامل للسقوط. إذن هو يحتاج إلى شريعة تقوده. ثم إن موسى لا يمثل الكمال لأن الناموس الذي أعطاه لم يكن كاملاً.

في الناموس لا يحب الإنسان الله بل يخافه ويخضع له كعبد ولا يحب الإنسان الآخر ففي المسيحية تموت الموسوية وتضمحل.

ولما كانت الشريعة تقف عند حدود النعمة والحق والرحمة والمحبة، فإنها تتعطل بمجيء من يمثل هذه القيم، ولهذا تتضاءل قيم الموسوية أمام المسيحية في أمرين: الأول هو أن الموسوية لا تصلح طريقاً للخلاص لأنها طريقة يتبعها كل ضال. والثاني هو العلاقة بين الإنسان والله.

ويقول اليازجي: كان موسى متعصباً لبني قومه، أي لإلهه، وعرقياً برأيه فأراد أن يفتقدهم وبالفعل خرج موسى إلى قصر فرعون ومضى إلى مقر بني إسرائيل

فوجد إسرائيلياً في قتال مع مصري فقتل المصري. وفي المرة الثانية التقى إسرائيليين يتقاتلان ولما حاول أن يكون حكماً بينهما رفض أحدهما فهرب من أرض مصر.

لقد أظهر موسى من خلال قصة اليهودي والمصري أنه متعصب لبني قومه وتلعب فيه العرقية مع أنه لا يمت لهم بصلة القربى لا في نشأته ولا ثقافته وتربيته.

وعندما نقارن بين موسى والمسيح نجد ما يلي:

1 ـ عرقية موسى وعالمية المسيح، والعرقية تعصب لشعب وكره لشعوب أخرى والعالمية محبة وتضحية.

2 ـ موسى يقتل، يريق دماً، فهو قاتل يمثل الناموس الحرف والمسيح يحب، يُراق دمه فهو ناموس الله.

3 ـ موسى قائد شعب، والمسيح محب للإنسانية جمعاء وخادمها.

4 ـ موسى يتيه في الصحراء والمسيح ينتصر على إبليس في الصحراء.

ويقول اليازجي: إن تعصب موسى قاده إلى تشخيص الإله تشخيصه في أرض وفي ناموس وكانت هذه العملية علة لغضب الإله، فقد غضب الله على موسى لأنه حول الأمور من الروحانية إلى المادية إلى الحرب إلى الناموس المكتوب على ألواح حجرية. ولهذا فقد دعاه الله ليريه الأرض السماوية وعندئذٍ أدرك موسى لكنه أدرك متأخراً.

ويقول اليازجي: تثور ثائرة موسى على كنعان، كنعان المسالم الذي يعبد إلهاً حقيقياً فيلعنه موسى لأنه قاوم ولم يستسلم ويلعن أبناء نوح بأجمعهم ويجعلهم خداماً لسام الذي يعتبره الشعب اليهودي جدهم. ويعلن موسى كرهه للشعوب فيوصي شعبه أن يحب اليهودي اليهود ويكره الآخرين ذلك لأن يهوه أمر بذلك.

ويتابع اليازجي: إننا نأتي إلى تأويلات رمزية تعترضنا لدى فهم موضوع موسى هل عاين موسى الأرض المادية الموعودة من رأس جبل سيناء عندما أراه الله إياها؟ وكيف يستطيع موسى أن يرى من بعيد وهو شيخ طاعن في السن والأرض

بعيدة جداً؟ لقد عاين موسى الأرض الموعودة التي حرفها إلى أرض مادية عندما خضع لنزوات إلهه ورغبات شعبه.

ماذا يفعل في صحراء شائعة واسعة. إنه يكلمهم بلغة العنف لماذا؟ لأنه أخرجهم من أرض وعليه أن يدخلهم إلى أرض. فالخروج من أرض رمز روحي يعني الإقبال على حياة جديدة والانتقال من فكرة ماضية شريرة إلى فكرة جديدة صالحة.

وفي إخراجهم من أرض مصر بدأت المصيبة الفاجعة. فليس المقصود بالإخراج الهروب والانتقال إلى مكان آخر لعبادة الله؛ لأن عبادة الله تتم في كل مكان فالخروج يعني الخروج من الظلمة والدخول إلى النور، ومن العبودية إلى الحرية، فكيف يبيح موسى لشعبه أرضاً يسكنها أناس آخرون ومتى كانت هذه الأرض لإبراهيم أو لموسى أو للشعب الإسرائيلي المتنقل؟ إنها عقدة الحرف وليس الحرف إلا نصراً لإبليس.

هكذا أتاه موسى وشعبه لأنهم أخطأوا الفهم وأساؤوا. فمن غير المعقول أن يظل شعب في الصحراء لا يقطنها ولا يجتازها وليست صحراء موسى إلا متاهة اليونان ففي متاهة اليونان دخول دون خروج يتيه المرء فيها، هي متاهة العقل والوجود التي لا ينتصر فيها إلا الحكيم وفي الصحراء يتيه موسى[1].

حينما نناقش السيد ندرة اليازجي نذكّره أن ما ورد في التوراة ليس هو الذي أنزله الله في كتاب على موسى النبي عليه السلام، فهذه الأسفار الخمسة التي ينسبونها لموسى لا تمت بصلة له. إنما تمتّ بكل الصلة لمؤلف التوراة عزرا. ولو أراد ندرة اليازجي التعرف على شخصية النبي موسى فما عليه إلا أن يعود إلى آيات القرآن الكريم ويرى كم عانى النبي موسى من قومه بني إسرائيل وكم عذبوه نفسياً حتى أنه تمنى الموت على أن يظل بين ظهرانيهم.

---

(1) المرجع السابق ص 161 ـ 162 ـ 163.

والله في عقيدة موسى هو خالق السموات والأرض ورب العالمين وليس يهوه كما تزعم التوراة، وأخلاق موسى هي أخلاق الأنبياء جميعاً فلينظر اليازجي إلى أخلاق النبي موسى عندما التقى بالعبد الصالح الذي ورد ذكره في سورة الكهف ليدرك أن موسى عليه السلام كان في قمة التربية الإلهية وخاصة في أدبه وتواضعه ونبوته.

أما أن موسى عليه السلام كان عنيفاً مع قومه، فهذا ينطبق على بعض المواقف. نعم كان النبي موسى عنيفاً جداً مع قومه لأنهم يستحقون ذلك، فهم متقلبون في عقيدتهم فاسدون في أخلاقهم لا يحترمون النبي ولا النبوة وكل ذلك يتوضح عندما نقرأ سيرتهم السيئة في القرآن الكريم.

لا نريد أن نناقش كل ما ورد في آراء السيد اليازجي ولكننا نستطيع القول: إن موسى كما ورد في التوراة ليس إلا تصويراً لشخصية أخرى تعمّدها كاتب التوراة. وشخصية موسى عليه السلام نعرفها على حقيقتها النبوية كما جاء ذكرها في القرآن الكريم وليس في التوراة وكتب اليهود المحرفة.

لقد أورد اليازجي في الصفحة 175 وما بعدها أضواء عديدة على التوراة وأدخل موسى عليه السلام في نقده القاسي، فيقول: (عمد اليهود وعلى رأسهم موسى إلى أخذ آراء غيرهم والعمل على طمسها لتعطي الأسبقية لهم).

فما دخل النبي موسى بما كتبه كاتب التوراة، ومن قال إن موسى كان يهودياً، صحيح أن اليهود سرقوا تراث غيرهم ونسبوه إليهم ولكن أليس بالحري استبعاد النبي موسى عن اليهود وتلفيقات التوراة وخاصة الأسفار التي نُسبت له زوراً وبهتاناً؟؟ ثم إن الحس العنصري الموجود في التوراة لا يخص موسى مطلقاً، فهذا الشعور بالتفوق والعنصرية ليس سوى محاولة من كاتب التوراة ليعوض عقدة النقص التي حلت في النفس اليهودية بعد النفي البابلي. وكره الشعوب جميعها لهم بسبب فسادهم وإفسادهم.

والشواهد الكثيرة من التوراة تدل على أن أحبار اليهود وعلى رأسهم نحميا وعزرا حرفوا أفكار موسى وعقيدته وتشريعه الذي أمر به الله لمصلحتهم العنصرية

وفسادهم أخيراً نقول إن الهجوم على شخصية النبي موسى بسبب تشويه التوراة لها ليس عملاً علمياً صحيحاً، واليازجي يعرف وكلنا يعرف من ألّف التوراة، فعلينا أن ننظر إلى القرآن الكريم أولاً، وعلينا أن نرفض التوراة المحرفة ولا نقحم النبي موسى في نقدنا لهذه التوراة المؤلفة من قبل عزرا وهي لا تمت بصلة إلى النبي موسى عليه السلام.

منهج الدكتور جرجي كنعان في كتابه سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية وكتابه الوثيقة العنصرية في العهد القديم.

قبل مناقشة آراء الدكتور كنعان لابد أن أنوه أن عدداً من الباحثين المنحازين إلى الكنعانية وإلى مفهوم أرض سوريا الكبرى شنوا هجوماً واسعاً على اليهودية والصهيونية والتوراة، وهذا حق لا نختلف عليه، أما ما نختلف حوله معهم هو الهجوم على الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن. فنحن نرى أن ما نُسب إلى هؤلاء الأنبياء ليس إلا تشويهاً اعتمده كاتب التوراة عزرا الكاتب. والأنبياء بريئون مما نسب إليهم. إن كان ذلك في العقيدة أو التشريع أو الأخلاق والسلوك ولو رجع هؤلاء الباحثون إلى القرآن الكريم لأدركوا الحقيقة النبوية لكل هؤلاء الأنبياء خاصة النبي موسى عليه السلام.

موسى لدى الدكتور كنعان قائد عسكري عنصري، قاتل غادر غاز لا يمت إلى النبوة بصلة، والدكتور يتجاهل الحقائق القرآنية التي تبين شخصية النبي موسى الحقيقية وهذا هو نفس التصور الذي وقع فيه الكاتب ندرة اليازجي.

فالتوراة ليست مقياساً في التعريف بأي شخصية نبوية، فإذا أردنا الإنصاف والموضوعية علينا أن ندرك الحقائق والسمات لأي شخصية نبوية ليس من خلال ما لفقه كتبة التوراة بل من خلال الحقائق الإلهية التي لا تطالها التحريفات.

يقول جرجي كنعان: (لعل أول سطر في مسيرة موسى هو صفة العنصرية الشوهاء والتعصب الأعمى التي خلعها على أتباعه وجعلها فريضة دينية)[1].

---

(1) جرجي كنعان: سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية/ ص 43 ط أولى 1980.

ويقول: (وكأن موسى كان يعي أن سلطان الدين سبيل إلى تحقيق سلطان الدنيا، ووجد من الضروري أن يكون لجماعته إله يرعاهم ويطعمهم ويحميهم ويخطط لهم في المعارك ويقودهم في الحروب ويكون بينه وبينهم نوع من المنفعة المتبادلة).

ويقول: (ففي واد من أودية سيناء أوهم موسى أتباعه بأن رسالة جديدة جاءت له من إلهه) ويقول في موقع آخر: (ألا يكون الأقرب إلى العقل والمنطق أن موسى النبي حين كان زعيماً لقبيلة يهودية ضاربة في صحراء سيناء فكر بغزو أطراف أرض كنعان لكنه مات قبل أن يحقق حلمه) (ووجد موسى من الضرورة أن يكون لجماعته إله يخطط لهم في المعارك ويقودهم في الحروب ووجد أن خير الصفات تكون لهذا الإله هي الغضب والحقد والاغتباط وسفك الدماء وإشعال نار الحروب. وهذه الصفات في الغالب صفات موسى أعطاها لربه وقاد بها أتباعه. فموسى حين حاول أن يجمع قومه بيهوه كان من الطبيعي أن يجعل منه إلهاً قومياً خاصاً بهم. ويكفي أن نعلم أن يهوه إله حرب إقليمي قبلي. مثله مثل آلهة القبائل أو الممالك الأخرى اتخذه موسى إلهاً وجعله ينطق بما يشاء ويضع الأوامر والأحكام على لسانه لتكتسب صفة التقديس وفرض عبادته على قومه بني إسرائيل بالإرهاب المصحوب بالقتل والتذبيح)[1].

وقد برّ يهوه أو موسى بقسمه ـ لا فرق فهما اسمان لحقيقة أو شخصية واحدة لقد بر بقسمه وأخرجهم من مصر. وتحت ضغط النازية كتب العالم النفسي اليهودي فرويد كتابه المشهور (موسى والتوحيد) توصل حسب رأيه إلى أن موسى رجل مصري قاد حملات عسكرية إلى الحبشة وغيرها. وأنه استقى ديانة التوحيد من الفرعون المصري أخناتون وقد تمرد على سادته الجدد من الفراعنة وخرج من مصر ومعه بنو إسرائيل وبعض المضطهدين دينياً من المصريين إلى سيناء.

---

(1) جرجي كنعان: الوثيقة الصهيونية في العهد القديم ص 33/ دار النهار ط 1/ 1977.

ورداً على هذه الآراء وغيرها نرى أنفسنا ملزمين للاطلاع على سيرة النبي موسى عليه السلام كما أوردها القرآن الكريم.

فموسى عندما قتل الرجل المصري لم يكن قد تلقى الرسالة ولم يكن نبياً فهو شاب صغير لم يبلغ سن الرجولة وعلى الرغم من ذلك لم يكن موسى يقصد القتل فالوكز لا يقتل الإنسان لكن الحكمة الإلهية أرادت أن يموت الرجل بسبب وكزه ليكون ذلك مقدمة لما أراده الله لموسى من هروبه إلى مديان العربية ومن ثم تلقي الرسالة في سيناء. وموسى عندما تلقى الرسالة أصبح مسؤولاً أمام ربه عن أي عمل يقوم به فهو لن يقتل إلا بحق ولن يكون سفاحاً طالما هو نبي مسؤول أمام الله وهذا رد على من اتهم موسى بأنه قاتل وأن رسالته تدعو إلى القتل.

وموسى عليه السلام لم يخترع إلهاً من تصوِّره كما قال بعض الباحثين. فالله في نظر موسى ليس إلهاً قومياً إقليمياً يدعو إلى القتل ويغار ويتجسد.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الشعراء: 23 ـ 28).

ويقول تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ (سورة طه: 49 ـ 53).

فأين صفات الله التي ألصقوها بإله موسى عليه السلام من هذه الآيات التي توضح بصدق صفات الله. فهو خالق السموات والأرض ورب المشرق والمغرب ورب الناس أولهم وآخرهم وهو الذي أعطى كل شيء خلقه وجعل الأرض مهداً وأنزل من السماء ماء فأخرج الزرع والنبات.

أهذه صفات الإله الخاص ببني إسرائيل؟ أليست هي ذاتها صفات الله كما عرفها المسيح وكما عرفها النبي محمد ﷺ؟.

أما إذا كانت التوراة قد وصفت الإله الذي عرفه موسى بالإله القومي الدموي المتعصب فهذا شأنها وليس لموسى عليه السلام ذنب في ذلك.

وإذا نظرنا إلى التعاليم التي أنزلت على النبي موسى وجدنا أنها مبثوثة في ثنايا آيات القرآن الكريم، يقول تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (سورة الأعلى: 14 ـ 19).

إن ما ورد في كتابات ندرة اليازجي وجرجي كنعان يهون أمام ما كتبه بعض الدارسين الآخرين حيث وصل بهم الحد إلى الإسفاف والكلام البذيء. وبذلك نراهم لا يقلّون سفاهة من اليهود الذين شوهوا الأنبياء وألصقوا صفات لا تليق حتى بالحيوانات.

والغريب في الأمر أنهم راحوا يكيلون للأنبياء الشتائم بناءً على ما قرؤوه في التوراة، بل إن المعجزات التي أجراها رب العالمين وورد ذكرها في القرآن الكريم اعتبروها خرافات وسذاجات وتخلفاً. وبدل أن يخلصوا الأنبياء من براثن التشويه التوراتي وقعوا في ما وقع فيه اليهود من الإسفاف والحقد على الأنبياء وقتلهم وبذلك ما أفادوا بل أضروا تماماً بالمنهج الصحيح الذي يجب أن يُدرس الأنبياء من خلاله. كنموذج من تلك الكتب نورد بعضاً مما جاء في كتاب بعنوان دراسات توراتية للمؤلف حنا حنا.

حنا حنا وكتاب دراسات توراتية:

يقول: ثم إن موسى كان رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض (العدد 12 : 3) ولكننا نقول: إذا كان موسى هذا الرجل الحليم فكيف تصرف بحماقة ما بعدها حماقة حين كسر لوحي الشهادة هدية الرب إلى الشعب المختار خروج 23 : 19. ثم أين كان حلمه الرفيع عندما قتل الرجل المصري وطمره بالرمل وعندما انفضح أمره هرب من وجه العدالة المصرية خروج 2: 11. وأين كانت أخلاق موسى الحميدة وإنسانيته عندما أمر بقتل ثلاثة آلاف من العبرانيين خروج 32: 27. الذين تذمروا من الخروج وندموا عليه ويئسوا من تعاسة الهجرة والتنقل في الصحارى والبراري حتى الهلاك. خروج 32: 27 ـ 28.

على أية حال، إن أبشع من سلوك موسى في الإجرام هو التصديق بنبوة موسى والتسليم بنزول الوحي عليه. أما ردّنا عن السبب الدافع الذي حمل موسى لأن يكون نبياً أو ادعاؤه بالنبوة فنقول بأن هناك احتمالين يستحقان الدراسة.

1 ـ إن موسى كان فاراً من وجه العدالة بتهمة القتل العمد ونتيجة لهذا الفرار تغرب إلى أرض مدين وبالتالي تعرف على يثرون أو رعوئيل الذي أعطاه ابنته صفورة، وبحكم هذه القرابة بين موسى ويثرون اتفقا على ادعاء موسى بالنبوة لتزعُّم العبرانيين. وحيث إن موسى لا يستطيع الظهور أمام المصريين الذين يطلبونه بجريمة القتل العمد لذلك ورط العبريين بالسرقة وقال لهم هكذا يقول الرب إله آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب، يقول تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين خروج 3 ـ 22 وبذلك أصبح القاسم المشترك بين العبريين وموسى هو الفرار من وجه العدالة. أما قصص الضربات العشر فهي من أكثر القصص سذاجة وتخلفاً وليس فيها أي منطق ومعقولية.

إلا أن الاحتمال الثاني وهو الأقرب إلى الحقيقة. وهو إن حقيقة موسى قد تكون على غير ما وردت في أسفار التوراة، والتي تروي أن موسى كان لقيطة وانتشلته ابنة فرعون لأنها تركيبة مقتبسة من قصة سرجون الأكادي. التي سبقت عهد موسى وهنا يحتمل أغلب الظن أن موسى قد يكون فرعونياً في جنسيته وربما كان ضابطاً في الجيش المصري إذ كُلف بإخراج العبريين من مصر.

ويقول في مكان آخر: إن لعبة موسى بعصاه مع العبريين كانت تشبه لعبة الفلاح مع حماره الذي لم يكن يسير إلا بعد أن ربط جزرة بخيط مدلّى من عصاه.

صحيح أن موسى لم يربط جزرة في عصاه ليسير خلفها العبريون إلا أنه عمل بنفس مضمون هذه الخطة حيث كان عمود السحاب في السماء بمثابة هذه الجزرة نهاراً أما في الليل فكان شخص ما يحمل شعلة نار عن بعد لتنوب عن هذه الجزرة.

ويقول: من المعقول جداً ما يراه بعضهم من أن موسى قتل على يد هذه الجماعة التي أخرجت من مصر بمكر في إحدى ثورات غضبهم ويأسهم مما لاقوه من خدعة في إخراجهم وعدم تمكنهم من الرجوع.

ثم يقول في مكان آخر: لكنّ موسى ساس العبريين بالطريقة التي اتبعها الشيطان مع آدم فعندما سقط آدم بالخطيئة وأخرج من الجنة إلى هذه الأرض وحيث أنه لم يتعود بعدُ على الظلام خاف جداً من ظلام الليل فجاء إليه الشيطان مستغلاً جهل آدم في تناوب الليل والنهار[1]...

وهناك مقاطع عديدة من كتاب حنا حنا يشهّر فيها بالنبي موسى عليه السلام. ويظهر من خلال كتابته استناده على النص التوراتي الذي يعرف هو وغيره أنه مؤلف من قبل عزرا وليس هو الكتاب الذي أنزله الله على النبي موسى.

ولسنا في هذا الإطار نحصر جميع ما كُتب عن النبي موسى. وقد اكتفينا ببعض النماذج العربية، والملاحظ أن الذين تناولوا موسى حسب نص التوراة لم يطّلعوا مطلقاً على آيات القرآن الكريم التي توضح شخصية النبي موسى على حقيقتها والتي توضح زيف التوراة وبهتانها وتحريفها.

إن موسى عليه السلام نبي من أنبياء الله بعثه الله لبني إسرائيل كي يهديهم لطريق الله لكنهم رفضوا ذلك وفسدوا وأفسدوا حتى جعلوا النبي موسى بعد ثمانين سنة من الدعوة أن يتمنى من الله أن يأخذه ويرتاح من فسادهم وتمردهم.

وقد بين الله سبحانه ذلك من خلال قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (سورة المائدة: 25).

(النبي موسى عليه السلام في الفكر المسيحي)

ليس النبي موسى عليه السلام بعيداً عن التراث المسيحي بل هو أحياناً في صلب العقيدة المسيحية طالما أصبح التوراة والإنجيل في كتاب واحد يطلقون عليه الكتاب

---

(1) حنا حنا: دراسات توراتية/ ص 313 ـ 314 ـ 315 دار رام دمشق 2006.

المقدس وهنا لابد أن نفرق بين وجهات نظر متعددة حول النبي موسى ﷺ وهـذه الوجهات تختلف بسبب تديّن بعضها وبسبب علمانية بعضها الآخر وبـسبب رؤيـة المسيحية منفصلة عن اليهودية التوراتية.

فالكنيسة الكاثوليكية وكـذلك الأرثوذكـسية والبروتـستانت وغـيرهم مـن الطوائف المسيحية يؤمنون بأن رسالة المسيح التي بلَّغها لبني إسرائيل هي اسـتكمال لما جاء في ناموس التوراة.

وبعض المسيحيين يرون في دمج التوراة بالإنجيل تحت اسم الكتاب المقـدس خطأً فادحاً يجب تداركه والسبب هو رؤيتهم للاختلاف الجذري بين تعاليم التوراة المحرفة الداعية للعنصرية والقتل، وبين تعاليم الإنجيل الداعيـة للمحبـة والـسلام والأخوة بين الناس.

وعندما ظهر المذهب البروتستانتي في بدايـة القـرن الـسادس عـشر عـلى يـد مارتن لوثر الكاهن الألماني برزت الدعوة إلى إعادة النظـر بـالتوراة وبـاليهود. وقـد دعا هذا المذهب إلى دمج التوراة والإنجيـل لـيكملا بعـضهما تحـت اسـم الكتـاب المقدس. ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن يتماهى البروتستانت باليهودية التوراتيـة إلى حد الذوبان وخاصة بعدما ظهر ما يسمى تيار المحافظين الجدد في أميركا.

وبغض النظر عن التفصيلات تعترف المسيحية بأن موسى نبي وقد قـاد بنـي إسرائيل في سيناء وأنقذهم من فرعون.

وحسب رأي قاموس الكتاب المقدس فإن موسى ظهر مع إيلياء (إليـاس) عـلى جبل التجلي فتكلما مع المسيح الذي كان عتيداً أن يكلمه في أورشليم (لوقا 9: 31).

ويقول قاموس الكتاب المقدس: كان موسى رمزاً للمسيح فإنه أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون لأنه لم يكن يمكنه ذلك مع حفظ ديانتـه. كـما أبـى المـسيح أن يقبـل ممالك العالم لأنه لم يمكنه قبولها بدون الإذعان لمطالب الشيطان، وكان موسى محرراً لشعبه كما أن المسيح يحرر تابعيه من عبودية الخطيئة. وأنشأ موسى ناموس الوصـايا الجسدية أما المسيح فقد وهب ناموس الحياة الروحية. وكان موسى نبيـاً أمـا يـسوع

فنبي أعظم منه، وكان موسى وسيطاً بين الله وشعب بني إسرائيل وهكذا كان المسيح هو وسيط بين الله والناس والذين يغلبون على الوحش وصورته يرتلون ترنيمة موسى والحمل (رؤيا يوحنا 15: 3).

وقد ورد ذكر الناموس المنسوب إلى النبي موسى ﷺ في الأناجيل.

فيرون ناموس موسى على أنه الشريعة التي وضعها موسى بوحي من الله في الحقول المدنية والاجتماعية والأدبية والطقسية وقد ورد ذلك في (متى ويوحنا ورسائل بولس) وفي رأي بعض المسيحيين أن المسيح لا يكمل موسى في الشريعة.

وقد طرحوا سؤالاً: هل المسيح يكمل موسى؟

وتعد هذه القضية رئيسية في فكر المسيحيين التقليديين فهم يعتقدون كاليهود والنصارى أن المسيح قد أتى ليكمل موسى.

وقد رأى الحواريون بأن الطريقة الفضلى لجذب اليهود إلى المسيحية هي في الحوار معهم من خلال معطياتَهم. ناموسهم وتوراتهم، وقد استطاع الحواريون تهديم الناموس والتوراة من خلال هذا الحوار، فمن جهة الإكمال كان اليهود ينتظرون مسيحاً يكمل موسى.

وكانوا يعتقدون أن الله أعطى الحقيقة على مراتب، مرتبة موسى ومرتبة المسيح فالمسيح في رأيهم يكمل موسى.

هناك آية لم ترد إلا في إنجيل متى، ربما ذكرت في هذا الإنجيل وحده لأنه كتب إلى اليهود فقط وهنا تظهر سيئة فهم الأناجيل الثلاثة الحوارية فمن لا يكون دقيقاً وعميقاً في فهم هذه الأناجيل يسيء إلى المسيحية إساءة كبرى ويرتبط باليهودية أو النصرانية لذا اعتبرت إنجيل يوحنا إنجيل المسيحي والأناجيل الثلاثة الأخرى أناجيل الحوار. في إنجيل متى 5: 17 يقول المسيح: «لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (18) «فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف من الناموس حتى يكون الكل».

فما الذي يكمله المسيح؟ هل هو الناموس. الناموس لم يكمل شيئاً كما يقول بولس إذاً هو ناقص متى جاء الكامل فحينئذٍ يبطل ما هو بعض.

لذا نرى أن كل ما أتى قبل المسيح يُلغى، الناموس يلغى والكهنوت المادي يُلغى، وملكية داود تلغى، والحرف يلغى، واليهودية تلغى.

لقد ظن اليهود أن موسى قد تنبأ بالمسيح وأن المسيح سيكون مكملاً لموسى وبناءً على هذا الوعد يقر متّى بواقعه بواقع نقص موسى، فيسير مع اليهود في معتقدهم هذا.

وبهذه الطريقة يأنس اليهود له ويجدون فيه إنساناً يتكلم بلسانهم ويعبر عن فكرهم، ولكنّ متّى يعود فيقول: إن المسيح الذي يكمل موسى ينهي الشريعة والناموس ويبطلها وهكذا يدرك اليهود من خلال بشارة متى أن موسى ينتهي لأن تعاليمه تفنى في تعاليم المسيح، فلا ضرورة لوجوده ولا ضرورة لوجود الناموس لأن الأمر قد اكتمل والقديم قد انتهى[1].

ويرى بعض المسيحيين أن إنجيل متى يبرهن أن المسيح لا يكمل موسى خاصة عندما يظهر التناقض بين موسى والمسيح فالمسيح يناقض موسى تماماً.

وبذلك يقضي على مزاعم اليهود بطريقة منطقية جدلية فإذا فهم اليهود أو النصارى أو المسيحيون التقليديون أن المسيح يكمل موسى فإن متّى يستمر بجدل عظيم ليظهر كذب هذا القول. فمتّى يستمر في الفصل ذاته وفي المكان ذاته ليظهر معارضة المسيح لموسى ونقضه له. ومتى أدرك اليهود هذه الحقيقة أدركوا أيضاً أن المسيح ينقض موسى. فموسى الذي يوصي بمبدأ العين بالعين والسن بالسن يتناقض مع المسيح الذي يوصي بالمحبة. وموسى الذي يوصي بمحبة القريب (اليهودي) وكره العدو (الأممي) يتناقض مع المسيح الذي ينادي بمحبة الناس جميعاً[2].

(1) ندرة اليازجي: رد على التوراة/ ص 127 ـ 128.

(2) المرجع السابق/ ص 130.

ويرى بعض الباحثين المسيحيين الغربيين أن جانباً مظلماً يحيط بحياة النبي موسى ﷺ وهذا الجانب حسب رأيهم هو فصل أوامر الإبادة والتحريم وتنفيذها. وهنا بالذات يظهر موسى كـ(لاوي) حقيقي. فالأمر الذي صدر للإسرائيليين من نسل لاوي بقتل كل من عبد العجل كان مقدمة لأوامر التحريم القادمة ويتخذ موسى مرجعاً له الوعد التوراتي الذي سبق أن أعطاه الله لإبراهيم أن نسله سوف يملك الأرض التي وعد بها، وقد فهم موسى من هذا أن هذا الوعد لا يتم إلا بالإبادة وليس فقط بها! ـ الشعب الكنعاني وهذا هو نص الأمر المزعوم الذي أتاه من الله (وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لا تشفق عيناك عليهم ولا تعبد آلهتهم لأن ذلك شَرَك لك) ويصدر موسى أوامر للإسرائيليين بهذا المعنى (تمحو ذكر عماليق من تحت السماء) ويذكر موسى في شيخوخته: «**وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والأطفال والنساء. لم نبقِ شارداً لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا**» (تثنية 2: 34 ـ 35).

ويتضح موقف بعض المسيحيين أكثر فأكثر في القول: هنا يقف موسى حقاً في خط لاوي مؤسس عشيرته. لنذكر هنا أن لاوي ومعه شمعون هو الذي حنث بعهد الختان الذي عقده يعقوب مع الشكيميين (سكان نابلس التي كانت تسمى شكيم) حينما كان الشعبان يريدان إقامة علاقات عائلية فيما بينهما. وكان ذلك الحنث في اللحظة التي أصبح فيها الشكيميون نتيجة للختان غير قادرين على القتال فقتل لاوي جميع الرجال والنساء والأطفال في شكيم وبحسب نوايا يعقوب إن العهد السلمي مع أهل شكيم يجب أن يكون أول استيلاء على أرض لذا اشتد غيظاً على فعلة لاوي إلا أنه لا يظهر بوضوح ما إذا كان غضب بسبب فعل لاوي حقاً أم بسبب ما سوف يترتب عليه. أما موسى فيواصل سياسة الإبادة هذه بشكل أعم مدّعياً دوماً بأنها بأمر من الله وهكذا سيعمل يشوع أيضاً من بعده.

ويقول الدكتور رينهارد لاوت: يبقى أنه من غير المقبول إطلاقاً أن يكون الله قد أمر بذلك ففي ذلك تناقض فادح مع الوصية التي جاءت من الله على لسان

يسوع (أحبوا أعداءكم، وأرجع سيفك إلى غمده) ومع أوامر التحريم يسقط إسرائيل مرة أخرى إلى القاع وفيما يتعلق بهذه النقطة يسقط إلى ما تحت المستوى الذي وصل إليه يعقوب، وفكرة الإبادة ملعونة من قبل يعقوب نفسه، ومع ذلك تبناها أبناء لاوي ويشوع. وحينما ربط موسى مبدأ شمعون ولاوي بالوصيتين الثانية والثالثة نتج عن ذلك المبدأ شديد الخطورة مبدأ الملكية الفردية بإطلاق.

إن القرار الموسوي ينفي جميع الشعوب الأخرى في الأرض المقدسة بالفعل ذاته، كونهم موجودين فيها ينفيهم إلى خارج العهد وذلك بالتطابق التام مع ما أراده لاوي، وبقيت القاعدة تلك التي أعطاها موسى وهي تحريم كافة الشعوب المقاومة لاحتلال الأرض المقدسة وإبادتهم.

لكن الدين والدستور الموسوي هما دين وقانون ودستور وقانون والصفة المميزة للقانون هي أن يكون نافذ المفعول لدى الجميع وبشكل دائم. ومن هنا، أي فيما وصل إليه الأمر أصبح التفرد الطابع الدائم بالمعنى الذي قاله لاوي.

كانت تلك الملكية لا تزال ملكية الله ولم يكن قد خطرت ببال موسى مرة تلك الملكية المغرية التي بدأت بفعلِ يعقوب أن يسرق ملكية الله ويجعلها ملكية الشعب نفسه[1].

ويقول لاوت: لم يعط موسى أياً من الأفكار الأساسية الدينية الخلاقة والآتية من الله على غرار ما جرى للآباء من قبل. وفقاً لذلك لا نجد في حياته أي ارتقاء. إنه يتراجع بعيداً عن إبراهيم لا بل حتى عن يعقوب ذاك أنه وبغض النظر عن أن يعقوب قد أعطي فكرة بيت إيل إلا أن موسى هو الذي أخذ بشكل كامل فكرة امتلاك الأرض. وإذا جعلنا من موسى تلك الشخصية الحاسمة بالنسبة للإيمان بالإله الواحد وعلاقة العهد معه فسوف نحصل عندئذٍ بالضرورة على فهم مختزل لدين إبراهيم يصل إلى حد إفساده[2].

---

(1) د. رينهارد لاوت: إبراهيم وأبناء عهده مع الله ص 281 ـ 282 ـ 283 ترجمة: الدكتور غانم هنا خطوات للنشر والتوزيع ط أولى 2006.

(2) المرجع السابق ص 289.

ويقول: لم يبق موسى للعناية الإلهية وحدها أمر استيلاء الإسرائيليين على أرض الميعاد فلجأ كابن حقيقي (للاوي) إلى سبيل إبادة الشعوب المقبحة هناك، وهنا لم يعرف طرق الله بل هجرها وقد عاقبه الله بأن حرمه وحرم معه الإسرائيليين الذين أخرجهم من مصر من دخول الأرض الموعودة.

لم يصدر هذا الحكم على موسى مصادفة وقد شغل هذا الحكم فكر الإسرائيليين على امتداد تاريخهم اللاحق دون انقطاع.

لقد كان لقساوة قلب موسى نتيجة مفادها أنه لم يترك لله ببساطة أن يقوم هو وحده بالاستجابة الكاملة لمطلبه بل وجد من الضروري أن يستعين بقوى أخرى[1].

من خلال ما تقدم نرى بعض الأفكار المسيحية التي تتناول شخصية النبي موسى مرتبطة بالمقارنة بالمسيح عليه السلام. وهذا المنهج وجدناه عند الكتاب المسيحيين من العرب. ويبدو أن هذا التيار يريد أن يقول إن رسالة المسيح هي غير رسالة موسى عليهما السلام. فهذه رسالة محبة وتضحية وسلام ورسالة موسى رسالة عنصرية وإبادة ودعوة إلى الحرب والقتل حسب ما يتصور أصحاب هذا المنهج.

ومرة أخرى نقول: لو أدركنا وأدرك هؤلاء معاني القرآن الكريم فيما يتعلق بالنبي موسى عليه السلام لتغيرت النظرة تماماً.

إننا نقول كما تعلمنا من القرآن الكريم إن الأنبياء جميعاً أبناء دائرة واحدة هي دائرة النبوة. ولا نحمل الأنبياء وزر ما فعله المدّعون من اليهود والصهاينة والتوراتيون الذين كتبوا التوراة بأيديهم وشوهوا سيرة الأنبياء بكل الأشكال.

---

(1) المرجع السابق ص 291.

الفصل السابع

النبي موسى عليه السلام
بين الحديث النبوي الشريف
والتراث الإسلامي والإسرائيليات المشبوهة

النبي موسى ﷺ في الحديث النبوي الشريف والتراث الإسلامي

قدمنا في الفصول الأولى الحديث عن النبي موسى ﷺ كما وصفه القرآن الكريم وكما قدم سيرته، وقارنا بين النص القرآني والنص التوراتي ورأينا الاختلافات الكبيرة والتناقضات بين النص الإلهي والتأليف التوراتي. واستكمالاً للحديث عن النبي موسى ﷺ وجدنا أنه من الضروري جداً قراءة أحاديث رسول الله ﷺ المتعلقة بالنبي موسى ﷺ وهي بشكل عام توضح ما جاء في القرآن الكريم وتؤكد عليه.

الحديث الأول:

حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب سمعت عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «فرجع النبي ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل وكان رجلاً تنصّر يقرأ الإنجيل بالعربية فقال ورقة: ماذا ترى فأخبره فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً» والناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره. (رواه البخاري).

وهذا الحديث يؤكد ما أوحى الله سبحانه لموسى ﷺ وما أوحاه للنبي محمد ﷺ.

2 ـ حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليلةَ أسري به «رأيت موسى وإذا رجل ضَرْبُ رَجِلٌ كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنه خرج من ديماس» (رواه البخاري).

وقوله: الضرب النحيف والرجل بكسر الجيم الذي شعره ليس بجعد وشنوءة حي في اليمن طوال وشبهه بهم في الطول.

وقد كانت حادثة الإسراء معجزة الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ ومن أجزاء هذه المعجزة أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى في بعض السماوات الأنبياء ومنهم موسى وعيسى وغيرهما. وقد وصف النبي عليه الصلاة والسلام كلاً بصفاته الجسدية التي كان عليها فعلاً.

وقد أكد الوصف النبوي لليهود صدق نبوة نبيّنا حين تحدث عما رآه من صفات النبيين موسى وعيسى عليهما السلام.

وذكر النبي ﷺ ليلة أسرى به فقال: «موسى آدمُ طوال كأنه من رجال شنوءة» وقال: «عيسى جعد مربوع».

3 ـ حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان حدثنا أبو أيوب السختياني عن ابن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً يعني يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم عظيم وهو يوم نجّى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون فصام موسى شكراً لله. فقال أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه» (رواه البخاري).

وقوله ﷺ: «أنا أولى بموسى منهم» يؤكد معنى دائرة النبوة المتكاملة فالأنبياء فعلاً أولى ببعضهم بعضاً من غيرهم حتى لو كانوا أقوامهم. وفيه أيضاً أن النبي موسى عليه السلام الذي حاول التوراتيون تشويهه هو نبي عظيم نقي اختاره الله واصطفاه نبياً لكن بني إسرائيل حرفوا كلامه ونسبوا إليه الكثير من الهرطقات العنصرية التي لا تليق به ولا بالأنبياء.

4 ـ حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور» (رواه البخاري).

5 ـ حديث النبي موسى عليه السلام والخضر. بعد أن فُسرت الآيات التي نزلت في سورة الكهف عن لقاء النبي موسى عليه السلام بالخضر. قال النبي ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما» (رواه البخاري).

6 ـ حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخِلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن موسى كان رجلاً حيّياً لا يُرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما ما أدره وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحَجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه فطفق بالحجر ضرباً بعصاه. فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (سورة الأحزاب: 69) (رواه البخاري).

هذا ما ورد في صحيح البخاري من أحاديث لرسول الله ﷺ تتعلق بالنبي موسى ﷺ. وهي أحاديث تتعلق بصفات هذا النبي ومقتطفات من أخباره وهي خارجة من الصادق الأمين محمد ﷺ ليس فيها ما يخالف القرآن ولا يخالف العقل والمنطق التاريخي والديني.

الإسرائيليات حول النبي موسى

لا شك أن كثيراً من الأحاديث المنسوبة لبعض الصحابة وهي ليست من أقوالهم وإنما رفعت لهم من قبل بعض المغرضين وضعاف النفوس. وعلى الغالب فإن هذه الأحاديث والروايات هي من الإسرائيليات. وبشكلها العام من حيث متنها وسندها تخالف المنطق القرآني وتخالف أحاديث رسول الله ﷺ.

وقد رُوي بعضها عن النبي موسى ﷺ فزادت في الخرافة وزادت كثيراً على ما جاء في المصادر الإسلامية الأولى.

لذلك فإننا في هذا المبحث نتطلع إلى غايتين الأولى إبعاد هذه الأحاديث والروايات تماماً عن صلتها بالنبي ﷺ لأنه لم يقلها ولم تأتِ في كتب السنة كصحيح

البخاري ومسلم وابن حنبل وغيرهم. والغاية الثانية إظهار مدى الخرافة ومخالفة العقل والمنطق بما روي من قصص وأحاديث.

الإسرائيليات في ذكر صفة عصا النبي موسى ومآربها:

ورد في كتاب قصص الأنبياء المسمى عرائس المروج لأبي إسحق الثعلبي النيسابوري أن العلماء اختلفوا في اسم عصا موسى ومنافعها التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها:

قال بعض العلماء: كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى، حملها آدم من الجنة إلى الأرض فورثها الناس صاغراً عن كابر إلى أن وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى.

فطول العصا عشرة أذرع على طول موسى، ذلك من زيادة بعض اليهود، صحيح أن موسى عليه السلام كان طويلاً ولكن ليس طوله كما ذكرت هذه الرواية عشرة أذرع إذ أن العشرة أذرع تعني أن طوله سبعة أمتار لأن مقدار كل ذراع سبعين سنتمتراً. وكذلك العصا. فهي ليست كذلك لأن هذا لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة، وقد أخطأ الثعلبي بقوله: إن شعيبا هو من أعطى موسى العصا.

أما كثرة الإسرائيليات فقد وجدت في الباب السابع من هذا الكتاب في صفة المآرب التي كانت في العصا.

فيورد الثعلبي: إن أهل العلم بأخبار الماضين قالوا: ومن هم أهل العلم لا ندري وهذا طبعاً هروب من التوثيق. أو أن هؤلاء من بني إسرائيل أصحاب الزيادات، يقول: كان لعصا موسى شعبتان ومحجن، في أسفل الشعبتين، وسنان حديد في أسفلها. وكان موسى إذا دخل مغازة ليلاً ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشعبتين من نار تضيئان له مد البصر، وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيُسقى منها، وإذا احتاج إلى طعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان إذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها.

وكان إذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنّينان يقاتلان وكـان يـضرب بهـا على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق. وكـان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بهـا عليـه فـانفلق وبـدا لـه فيـه الطريـق منفرج. وكان يشرب من إحدى شعبتيها العسل ومن الأخرى اللبن وكـان إذا أعيـا في طريقه ركبها فتحمله إلى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك. وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه، وكان إذا طلب منهـا الطيـب فـاح منهـا الطيـب فيتطيب ويطيِّب ثوبه. وإذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جـانبهم تكلمـه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا.

ويروي الثعلبي: وقال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنتـه وسـلم إليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق فخـذ عـلى يـسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلأ بها أكثر فإن هناك تنّينـاً عظـيماً أخـشى عليـك وعلى الأغنام منه فذهب موسى بالأغنام حتى إذا بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريـده ثم نام موسى والأغنام ترعى وإذا التنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت إلى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولاً فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأناً، فهذه مآرب موسـى إذا كانت في يده وأما إذا ألقاها فيرى أنها كانت تقلب حيـة كـأعظم مـا يكـون مـن الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فماً وفيه اثنـا عـشر نابـاً وضرساً ولها صرير وصريف يخرج منها لهب نار ويصير محجنهـا عرفـاً لهـا كأمثـال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيئاً إلا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها وجعلت تـتلمظ وتتـبرم كأنهـا تطلب شيئاً تأكله)[1].

(1) الثعلبي النيسابوري: قصص الأنبياء ص 176 ـ 177/ دار الكتب العلمية بيروت ص 1، 1985.

فالملاحظ أن قصة عصا النبي موسى قصة أسطورية من الأساطير والملاحم الخيالية وقد استطاع مؤلف هذه الأساطير أن يضفي عليها خيالات هي أشبه ما ورد في الأساطير اليونانية والفارسية المغرقة في القدم. ولا سيما عندما يذكر التنّين ومن المعروف أن التنين الذي يقذف اللهب ليس سوى أسطورة من الأساطير ليس له وجود في الواقع.

الإسرائيليات في سؤال موسى ربه الرؤية:

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: 143).

فقد ذكر الثعلبي والبغوي وغيرهما عن وهب بن منبه وابن إسحق قالا: لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله ملائكة السماوات أن يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء (كثيران)[1] البقر ينبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟.

فقال له خير الملائكة ورأسهم (جبريل) يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا أمثال النسور، لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح

---

(1) ثيران: جمع ثور وهذا من سوء أدب بني إسرائيل مع الملائكة.

والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه.

ثم أمر ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى ابن عمران فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم. ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا بن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم ببصره لم ير مثلهم، ولم يسمع مثل أصواتهم، فامتلأ جوفه خوفاً واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا بن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة ناراً أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب الملائكة والروح رب العزة أبداً لا يموت، وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول: رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري أأنفلت مما أنا فيه أم لا إن خرجت احترقت وإن مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت[1] يا بن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت.

ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله ورفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعاً يقولون

(1) يقول الدكتور أبو شهبة: لا أدري كيف يتفق هذا وما ذكر من قبل من شدة خوفه وفزعه في المرات الخمس وهذا من إمارات التهافت.

سبحان الملك القدوس رب العزة أبداً لا يموت، بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله برحمته الروح فتغشاه وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى، فأقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بك ربي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا. من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت إليك الحمد لله لا شريك لك ما أعظمك وما أجلّك رب العالمين فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ (سورة الأعراف: 143) وبعد أن ذكر الأقوال الكثيرة فيما تبدى من نور الله قال: ووقع في بعض التفاسير (طارت لعظمته ستة جبال ووقعت ثلاثة بالمدينة أُحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء)[1].

وهذه المرويات وأمثالها مما لا نشك أنها من إسرائيليات بني إسرائيل وكذبهم على الله وعلى الأنبياء وعلى الملائكة. فلا تُلقِ إليهم بالاً وليس تفسير الآية في حاجة إلى هذه المرويات والآية ظاهرة واضحة وليس فيها ما يدل على امتناع رؤية الله في الآخرة كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة[2].

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الثعلبي والبغوي والزمخشري في تفاسيرهم عند قوله فخر موسى صعقاً أي مغشياً عليه وليس المراد ميتاً كما قال قتادة.

فقد قال البغوي: وفي بعض الكتب إن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون يا بن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة. وذكر مثل هذا الزمخشري في الكشاف وقد نقلها لأنه تساعده على إثبات مذهبه الفاسد وجماعته من المعتزلة.

وهذا مما لا شك فيه أنه من الإسرائيليات المكذوبة. وموقف بني إسرائيل من موسى ومن جميع الأنبياء معروف فهم يحاولون تنقيصهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا[2].

---

(1) د. محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ ص 199 ـ 200.

(2) د. محمد أبو شهبة: المرجع السابق، ص 200 ـ 201.

ومن الإسرائيليات ما ذكره الثعلبي والبغوي والزمخشري والقرطبي والآلوسي وغيرهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 145).

فقد ذُكر في الألواح ممّ هي وما عددها أقوال كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين وعن كعب الأحبار ووهب بن منبه من أهل الكتاب الذين أسلموا مما يشير إلى منبع هذه الروايات وأنها من إسرائيليات بني إسرائيل.

يذكر البغوي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ ﴾ قال ابن عباس يريد ألواح التوراة وفي الحديث كان من سور الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً وجاء في الحديث (خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده) والواقع أن البغوي كما هي عادته لم يخرج الحديثين ولم يبرز سندهما وقد ذكر الآلوسي أن الحديث الأول رواه ابن أبي حاتم واختار القول به إن صح السند إليه.

وأما الحديث الثاني فقال: إنه مروي عن علي وعن ابن عمر وعن غيرهما من التابعين. قال الحسن: كانت الألواح من خشب وقال الكلبي: كانت من زبرجد خضراء. وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر وقال الربيع: كانت الألواح من بُرْد وقال ابن جريج: كانت من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور.

وقال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء ليّنها الله له فقطعها بيده ثم شققها بيده. وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى.

وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويشوع وعزير وعيسى. ويعلق الدكتور أبو شهبة قائلاً: لا أدري كيف يقبل عقل أنها حمل سبعين بعيراً. ثم إذا لم يقرأها سوى أربعة فلماذا أنزلها الله؟

فكل هذه الروايات المتضاربة التي يردّ بعضها بعضاً مما يُحال أن يكون مرجعها النبي ﷺ وإنما هي من إسرائيليات بني إسرائيل. والأولى عدم البحث في هذه الألواح. مم صنعت وكم طولها وعرضها وكيف كُتبت فهذا لا يجب الإيمان به لأن البحث فيه لا يوصل إلى غاية[1].

ومما ورد في كتاب الثعلبي النيسابوري قوله: ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقاً فلما نزل موسى عنه عاد إلى حالته الأولى، فلما رجع موسى شيّعته الملائكة.

ومن الخرافات التي أوردها الثعلبي قوله: فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجاً من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانفض منها الناس وذُعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة.

ومن الإسرائيليات ما قاله كعب الأحبار أن عدد السحرة الذين واجههم النبي موسى كانوا اثني عشر ألفاً وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألفاً وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفاً وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفاً.

ومما قاله من الخرافات الإسرائيلية أن ذنب الحية بلغ الجزيرة من وراء البحر يومئذ. وكذلك قوله: وكانوا قد جاؤوا بالعِصي والحبال يحملها ستون بعيراً.

وقوله: فألقوا فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى.. وقوله عن حية موسى: ولها ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء إلا حطمه وقصمه ويكسر بقوامه الصخور الصم الصلاب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسُه نار وله عينان تلتهبان ناراً ومنخراه ينفخان سموماً وصارت

---

(1) المرجع السابق ص 203.

الشعبتان له فماً سعته اثنا عشر ذراعاً وفيه أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش وصريف وصرير.

ومن سخافات ما قال الثعلبي: وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضاً حتى مات منهم يومئذٍ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفاً وانهزم فرعون فيمن انهزم متخوفاً مرعوباً ذاهباً عقله وقد استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك أربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام إلى أن هلك.

وأورد وهب بن منبه: أنه كان بين الله وبين موسى سبعون حجاباً فرفعها الله كلها إلا حجاباً واحداً. وهذه جميعها مما لا تثبت صحته ولا هو من القرآن أو السنة إنما من أساطير وخرافات بني إسرائيل.

ومن الإسرائيليات المكذوبة ما قيل في سبب غضب النبي موسى لما ألقى الألواح.

وقد روى الطَّبري في تفسيره والبغوي في تفسيره وغيرهما في سبب غضب النبي موسى ﷺ حين ألقى الألواح من يديه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 150).

فقد روي عن قتادة أنه قال: نظر موسى في التوراة فقال: رب إني أجد في الألواح أمة خير أمةٍ أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون، أي آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان مَن قبلهم يقرؤون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم قال: رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد قال:

رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى ليقاتلوا الأعور الكذاب فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها. وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله ناراً فأكلتها وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطير وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم قال: رب فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كُتبت له حسنة وإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفّعون والمشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد. قال قتادة: فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة محمد.

وإذا نظرنا إلى ما سبق نجد آثار الوضع واضحة، أولها قوله (نظر موسى في التوراة)، وما أنزل على موسى مكتوباً في الألواح ليس التوراة إنما كتاب.

وقوله: (أناجيلهم في صدورهم)، وكلمة إنجيل لم تكن واردة في زمن موسى وهي تعني البشارة.

ثالثاً: نسي الطبري أن الآيات القرآنية أشارت إلى غضب النبي موسى عندما رأى بني إسرائيل يعبدون العجل.

(إن هذه الآثار واضحة الوضع والاختلاق، والسند مطعون فيه، وهي أمور مأخوذة من القرآن والأحاديث ثم صيغت هذه الصياغة الدقيقة وجُعلت على لسان موسى عليه السلام. والظاهر المتعين أن إلقاء سيدنا موسى بالألواح إنما كان غضباً وحمية لدين الله وغيرة لانتهاك حرمة توحيد الله وأما ما ذكره قتادة فغيرُ مسلّم)[1].

ويقول في ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله. (ثم ظاهر السياق أن سيدنا موسى ألقى الألواح غضباً على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وقول ابن جرير

---

(1) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في التفسير/ ص 204 ـ 205.

أنه روى عن قتادة فهذا قول غريب لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالرد وكأنه تلقاه قتاده عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفّاكون وزنادقة)[1].

وصدق ابن كثير، وأرجح أن يكون من وضع زنادقتهم كي يظهروا الأنبياء بمظهر المتحاسدين بمظهر الإخوان المتحابين.

وقال الإمام القرطبي عند تفسيره لذلك. والغضب مما اعتراه (موسى) من الأسف والغضب حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل وعلى أخيه في إهمال أمرهم. ولا يصح أن إلقاء الألواح إنما كان لما رأى من فضيلة أمة محمد ﷺ ولم يكن ذلك لأمته، وهذا قول رديء لا ينبغي أن يضاف إلى النبي موسى عليه السلام[2].

ومن الخرافات والإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ (سورة الأعراف: 159).

وقد ذكر الطبري في تفسير هذه الآية خبراً عجيباً فقال: حدثنا القاسم قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ قال بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله نفقاً في الأرض فساروا حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا. قال ابن جريج: قال ابن عباس: (فذلك قوله وقلنا من بعده لبني إسرائيل ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾) (سورة الإسراء: 104).

وحسب قولهم: أن وعد الآخرة هو عيسى بن مريم. وهذا عجيب ومرفوض.

قال ابن جريج قال ابن عباس: ساروا في السرب سنة ونصف وقال ابن عيينة عن صدقة عن أبي الهذيل عن السدي: (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه

(1) تفسير ابن كثير، جزء 3 ص 755.

(2) محمد أبو شهبة: المرجع السابق، ص 206.

يعدلون) قال: قوم بينكم وبينهم نهر من شهد وقد وصف ابن كثير ما رواه الطبري بأنه خبر عجيب..

قال البغوي. قال الكلبي والضحاك والربيع هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على نهر مجرى الرمل يسمى نهر أوداف ليس لأحد منهم مال دون صاحبه. يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون، لا يصل إليهم منا أحد وهم على دين الحق. وذكر أن جبريل عليه السلام ذهب بالنبي ﷺ ليلة أسري به إليهم فكلمهم فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون قالوا: لا. فقال لهم: هذا محمد النبي الأمي، فآمنوا به فقالوا: يا رسول الله إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام فرد النبي ﷺ على موسى وعليهم ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت، وقيل هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي ﷺ والأول أصح.. حسب قول البغوي.

فهذه من خرافات بني إسرائيل ولا محالة، والعجب من البغوي أن يجعل هذه الأكاذيب أصح من القول الآخر الذي هو أجدر بالقبول وأولى بالصحة، ونحن لا نشك في أن ابن جريج وغيره ممن رووا ذلك إنما أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا ولا يمكن أبداً أن يكون متلقى عن النبي المعصوم ﷺ[1].

وما ذكر لا يشهد له من عقل ولا نقل صحيح بل هو يخالف الواقع الملموس والمشاهد المتيقن، وقد أصبحت الصين وما وراءهما معلوماً كل شبر فيها فأين هم؟ ثم ما هذا النهر الشهد وما هذا النهر من الرمل وأين هما؟ ثم أي فائدة تعود علينا من التمسك بهذه الروايات التي ليس لها زمام؟[2].

وقد امتلأ كتاب قصص الأنبياء لصاحبه الثعلبي بالإسرائيليات والخرافات التي تناولت النبي موسى وغيره من الشخصيات التي كان لها علاقة بالنبي موسى.

---

(1) محمد أبو شهبة: مرجع سابق ص 207.

(2) المرجع السابق 208.

يورد مثلاً قصصاً عن أولاد بني إسرائيل الذين هرّبتهم أمهاتهم كي لا يـذبحهم فرعون. فيقول: حين أمر فرعون بذبح أولاد بنـي إسرائيـل جعلـت المـرأة إذا ولـدت الغلام انطلقت به سراً في جوف الليل إلى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقيض الله له ملكاً من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس، وكان الذي ربى الـسامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد إبهاميه سمناً ومن الآخر عسلاً فمن ثم عرفه ومـن ذلك الوقت إذا جاع الطفل يمص إبهامه فيروى من المص لأنه جُعِل فيه رزقه[1].

من الخرافات التي تصل حدّ الكفر والتجرؤ على الله عز وجل ما قاله الثعلبي في قصة العجل. يقول فيها: لما واعد الله موسى أربعين يوماً قال الله تعـالى: يـا موسـى إن قومك قد افتتنوا من بعدك. قال: يا رب كيف يفتتنون وقد نجيتهم مـن فرعـون ومـن البحر وأنعمت عليهم قال: إنهم اتخذوا العجل إلهاً من دوني وهو عجـل ذو جـسد لـه خوار قال: يا رب من نفخ فيه الروح قال: أنا قال: أنت وعزتك فتنتهم. قال الله تعـالى: يا موسى يا رأس النبيين يا أبا الأحكام إني رأيت ذلك في قلوبهم فيسرته لهم[2].

فنلاحظ هذا التلفيق والجرأة على الله عـز وجـل فكيـف يـضل بنـو إسرائيـل وييّسر لهم الله الضلال. ويضع الروح في العجل. وهل العجل كان له روح؟

وكل ذلك كما نرى من تلفيقات بني إسرائيل وخرافاتهم.

ومن ذلك قول الثعلبي: أمر الله موسى أن يبرد العجل بـالمبرد ثـم يحرقـه ثـم يذروه في النيل. فمن شرب ماء من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شـفتاه وقيل ثبت على شاربه الذهب فكان علماً على جرمه.

ونلاحظ أن كلامه يناقض الواقع الجغرافي، فموسى كـان في سـيناء ولم يكـن قرب النيل ـ فكيف ذراه في ماء النيل؟

ومثل ذلك كثير ولا مجال لذكره لكثرته وكثرة خرافته وعدم معقوليته.

---

(1) الثعلبي النيسابوري: قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، ص 208.

(2) المرجع السابق ص 210.

خاتمة

استعرضنا حياة النبي موسى حسب ما وردت في القرآن الكريم وحسب ما قالته التوراة وأدركنا من خلال النصوص أن موسى عليه السلام قد جُني عليه من قبل بني إسرائيل. وتبين أن رحلة المعاناة التي عاشها لم تتوقف، فما إن خلّصه الله من فرعون حتى وقع في مواجهة مع بني إسرائيل. واستمرت هذه المواجهة إلى أن طلب من ربه أن يفرقه وأخاه عن فسق بني إسرائيل.

دام معهم أكثر من ثمانين سنة وهو يعلمهم عقيدة التوحيد والتشريع ومن دون جدوى أو فائدة.

لقد كانت هذه الدراسة كغيرها من الدراسات التي نشرت عن النبي إبراهيم وأبنائه من الأنبياء وعن النبي سليمان وأبيه النبي داود عليهم السلام جميعاً. وقد آثرنا في هذه الدراسات أن نعتمد مقارنة النص التوراتي بالنص القرآني لنرى كيف حرف اليهود الدين والتاريخ وكيف شوهوا أنبياء الله. وكيف فضحهم القرآن الكريم وكيف أنصفهم الإسلام أمام تحريف هؤلاء الفاسدين من اليهود.

إننا من باب اتباع سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام فإننا أولى بإبراهيم وإسحق ويعقوب وأولى بموسى وهارون وداود وسليمان لأنهم أنبياء مسلمون ينهلون من نبع إلهي واحد ويكملون مع بعضهم دائرة الرسالة التوحيدية التي أرادها الله عز وجل وأراد المفسدون غيرها.

إن هؤلاء الذين كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله، يحاولون التماهي مع شخصية إبراهيم وإسحق وموسى ويعقوب وداود وسليمان وفي الوقت نفسه جعلوهم عرضة للتشويه والسخرية.

لقد رفضوا عقيدة موسى منذ البداية فعبدوا العجل وكانوا قبله قد طلبوا أن يجعل موسى لهم آلهة كما لغيرهم. وظلوا يقارعون موسى طوال عشرات السنين إلى

أن ملّ منهم مع العلم أنه من أولي العزم من الرجال، وطلب من ربه أن يفرق بينه وبينهم لأنهم فاسقون فاسدون.

فلا التماهي المنافق يفيدهم أو يغفر لهم ذنوبهم وآثامهم بسبب حربهم على الدين والأنبياء. ولا الخيال يسعفهم ولا الأساطير تحقق أحلامهم. فهم كما أذلهم الله سيذلهم مرات ومرات لأنهم ما عرفوا ماهية النبوة ولا قيمتها. وما عرفوا الله حق المعرفة حتى يأملوا برضاه ورضا أرواح الأنبياء والمرسلين.

إننا من باب إيضاح ما أشكل على عقول الناس من الإسرائيليات حاولنا جاهدين أن نبين حقيقة شخصية النبي موسى عليه السلام بعيداً عن تلفيقات بني إسرائيل وخرافات الرواة. وكانت آيات القرآن أكبر معين لنا في تثبيت رؤيتنا ودراستنا عن هذا النبي العظيم.

وإذا كان لنا من أمل فهو أن يطلع اليهود المعاصرون وكذلك من لف لفهم من مسيحيي الغرب وخاصة هؤلاء الذين يمثلون المسيحية الصهيونية في أميركا. أن يروا حقيقة موسى وجوهر نبوته وحقيقة الزيف التوراتي والتلفيقات التي لا توافق المنطق والعقل ولا التاريخ ولا الجغرافيا والآثار. إن النبي موسى بريء مما ألصقه به الباحثون من يهود وغربيين وغيرهم فهو نبي مرسل وليس قائداً عسكرياً دموياً. وهو إنساني وليس عنصرياً كما لفقت التوراة العبرانية عليه.

وعلى الباحثين الذين استندوا على نص التوراة في دراساتهم لشخصية النبي موسى أن يعودوا للنص القرآني حتى لا يقعوا في شراك الإسرائيليات وخرافاتهم وحتى لا يقعوا في مصائد النصوص التوراتية العبرانية التي ألفها عزرا الكاتب وصدقها من جاء بعده من اليهود وعلى أنها ما أنزل على موسى وموسى منه براء. وحتى نكون منصفين علينا أن ننسف هذه المقولات ونبحث عن الحقيقة في النص القرآني وعلم التاريخ وعلم الآثار وعلم مقارنة الأديان.

لقد حان الوقت كي نعيد النظر في كتابة التاريخ وقراءته حتى نصيغ ما يوافق الحقيقة ونبتعد عما ألّفته يد المستشرقين والمغرضين.

لقد حان الوقت لنقول لهؤلاء ليس لكم أي علاقة دينية بدين موسى ولا بدين داود وسليمان ولا بدين أبي الأنبياء إبراهيم ولا بأولاده.

إنكم على منهج عنصري صهيوني غربي ركبتم حمار دينكم لتصلوا إلى تحقيق مشروعكم الغربي الاستعماري. فليس لكم أي حق بأرض فلسطين. لأن نصكم التوراتي الكاذب مرفوض لدى الجميع. ولأن مشروعكم الاستعماري مكشوف تماماً وقد حان الوقت حتى تَزول وتُزال كل المشاريع الاستعمارية من الكرة الأرضية.

د. حسن الباش 21/ 4/ 2010

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم.
2 ـ صحيح البخاري.
3 ـ صحيح مسلم.
4 ـ العهد القديم ـ التوراة.
5 ـ قاموس الكتاب المقدس.
6 ـ ابن كثير: البداية والنهاية: المجلد الأول.
7 ـ ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل المجلد الأول.
8 ـ محمد طه الدرة: إعراب القرآن وبيانه/ المجلد الخامس.
9 ـ د. حسن الباش: الكتاب والتوراة.
10 ـ باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت/ نقلاً عن د. محمد الشرقاوي: مقارنة الأديان.
11 ـ رحمة الله الهندي: إظهار الحق.
12 ـ السموأل بن يحيى المغربي: غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود.
13 ـ الرسالة السبيعية في إبطال الديانة اليهودية/ ملحق على كتاب السموأل.
14 ـ ريجسكي: أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية/ ترجمة: آحو يوسف.
15 ـ فؤاد شبل: مشكلة اليهودية العالمية/ دراسة لآراء آرنولد توينبي.
16 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ/ المجلد الأول.
17 ـ د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ.
18 ـ أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب.
19 ـ ندرة اليازجي: رد على التوراة.
20 ـ جرجي كنعان: سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية.
21 ـ جرجي كنعان: الوثيقة العنصرية في العهد القديم.
22 ـ حنا حنا: دراسات توراتية.
23 ـ رينهارد لاوت: إبراهيم وأبناء عهده مع الله ترجمة الدكتور غانم هنا.
24 ـ الثعلبي النيسابوري: قصص الأنبياء.
25 ـ د. محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.

الفهرس

سيرة ذاتية

1 ـ حسن مصطفى الباش.

2 ـ مواليد فلسطين، طيرة حيفا 24/ 11/ 1941.

3 ـ إجازة في الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق 1973.

4 ـ ماجستير مقارنة أديان، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، فرع القاهرة 2001.

5 ـ دكتوراه مقارنة أديان، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، فرع القاهرة 2003.

6 ـ أستاذ مقارنة أديان في كلية الدعوة الإسلامية، فرع دمشق.

7 ـ حائز على جائزة القدس العربية عام 2003 اليمن.

8 ـ رئيس تحرير مجلة المجاهد حتى عام 2007.

9 ـ عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين منذ عام 1975.

10 ـ عضو اتحاد الكتاب العرب جمعية الدراسات والبحوث منذ عام 1986.

11 ـ يشارك في العديد من المؤتمرات العربية والدولية.

12 ـ مقيم في القطر العربي السوري منذ 1948.

13 ـ رئيس تحرير مجلة الخيرية بدمشق منذ 2009.